

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طبع على نفقة بعض المحسنين
جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة


شرح
القواعد الأربع
لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع

طباعة - نشر - توزيع

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

شارع الفيصليَّة - خلف الجامعة الإسلاميَّة

00966532627111

00966590960002

daremslm@gmail.com

daremslm



Sutor.center@gmail.com

بحث علمي - طباعة - صفّ - تنسيق - تصميم

حقوق الطبع محفوظة

ح دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع، ١٤٤١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد

شرح القواعد الأربع. / عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر - المدينة المنورة، ١٤٤١هـ

ردمك: ٨-٣٧-٨٢٨٧-٦٠٣-٩٧٨

١- التوحيد ٢- العقيدة الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤١/١٠٠٤٧

رقم الإيداع: ١٤٤١/١٠٠٤٧

ردمك: ٨-٣٧-٨٢٨٧-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

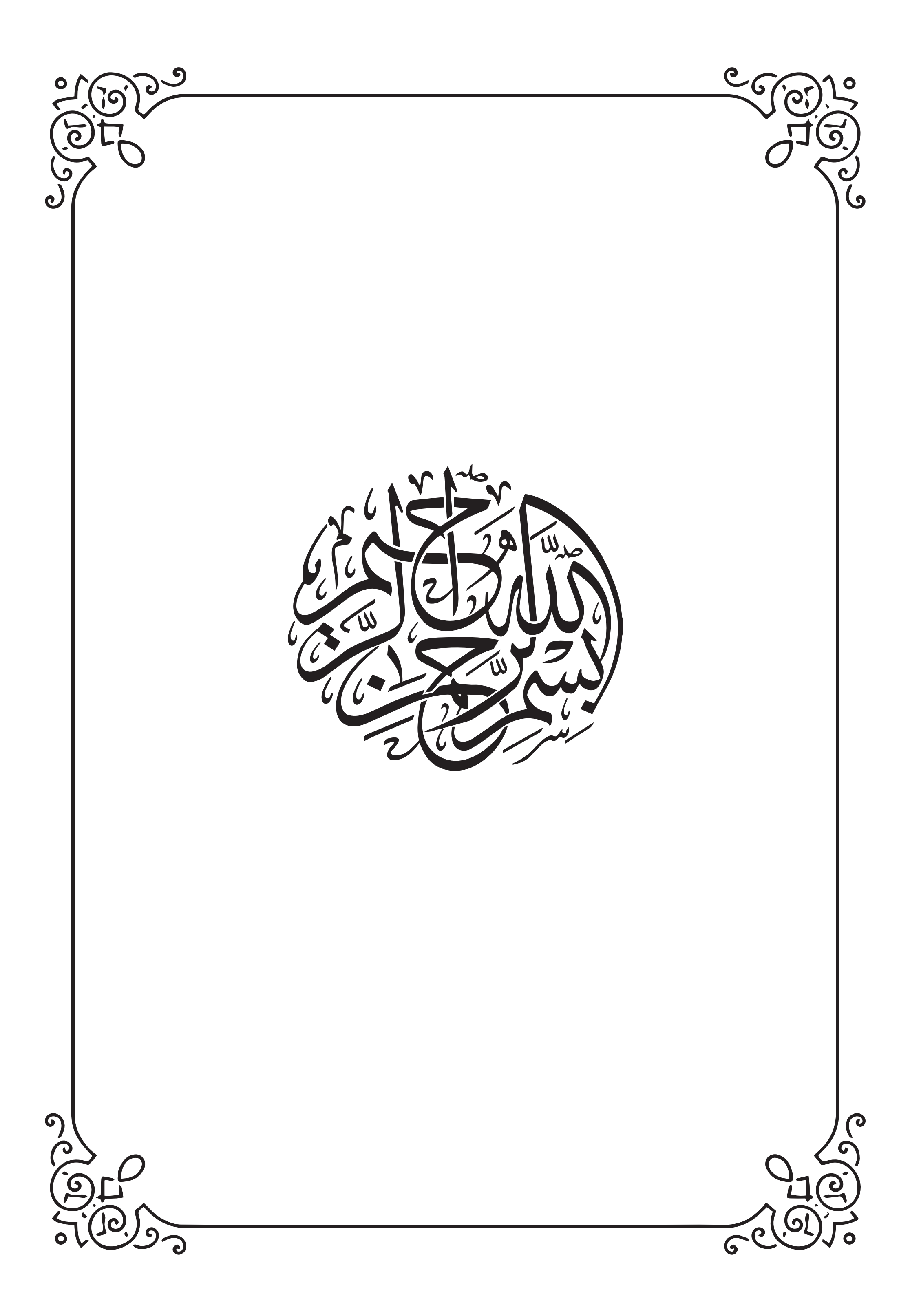
١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م

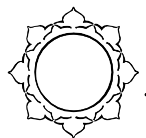


إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طبع على نفقة بعض المحسنين
جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان مُعلِّمًا مربِّيًا متمسكًا بكتاب الله جَلَّ وَعَلَا، وسنةِ رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وناصحًا أعظمَ نصيحة للناس في بيانِ التوحيدِ الذي خُلقوا لأجله، وأُوجدوا لتحقيقه، والتحذيرِ من الشِّرك بالله عَزَّ وَجَلَّ الذي هو أعظم الآثام، وأكبر المحرَّمات.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بياناته وتقريراته للتوحيد والسنة ينطلق من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسنة رسوله ﷺ، سائرًا في ذلك على سَنن الصحابة الكرام، وتابعيهم بإحسان، فهو ماض على الطريق والأثر في الاقتفاء والاتباع لكتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسنة رسوله ﷺ؛ ولهذا كانت كتبُه كلُّها قائمةً على الدليل وجمع الشواهد من الكتاب والسنة؛ قال الله، قال

رسوله ﷺ، لا يأتي بشيء من قِبَلِ نفسه، أو يُنشئ أمرًا تكلُّفًا من عنده، حاشاه وحاشا أئمةَ المسلمين وعلماءَ السنة أن يكونوا كذلك.

وقد تنوّعت مصنفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان التوحيد وتقريره، والتحذيرِ من الشرك وإبطالِه، وبيانِ فساده وبطلان شبه أهله، فألَّف في ذلك مؤلفات كثيرةً نُصحًا للأمة، وبيانًا للنّاس، وإعذارًا وإنذارًا.

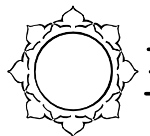
وكان من عنايته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهـذا البابِ العظيم ـ معرفةِ التوحيد والشرك والتمييز بينهما ـ هذه الرسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة، التي لا يستغني عنها أيّ مسلم، فهي بحقٍّ رسالةٌ عظيمةٌ، وكُتيِّبٌ قيِّمٌ في باب هو أعظم الأبواب.

وقد جمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هٰذه الرسالة **قواعدَ أربعًا**، وذكر أدلَّتها من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة نبيه ﷺ، ومَن ضبط هٰذه القواعد وفهمَها لا يلتبس عليه الأمرُ، ولا يشتبه عليه، ولا تنطلي عليه أضاليلُ أهلِ الضلال، وأباطيلُ أهل الباطل.

وقد أصبحتْ معرفة التمييز بين التوحيد والشرك ضرورةً ملحةً، ولاسيما في هٰذه الأزمنة المتأخرة التي لُبِّس فيها على كثير من الناس مفهومُ التوحيد، وأُدخلت عليهم صورٌ من الشرك.

فمن أعظم الضرورات وأشد الحاجات التي ينبغي على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يعتنيَ بها معرفةُ هٰذه القواعد العظيمة الأربعة الكبار التي قررها رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليُميِّزَ بها المسلمُ بين الشرك والتوحيد، ويكونَ على بصيرةٍ في دينه وبيِّنةٍ من أمره، وعلى نورٍ من كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

❁ ❁ ❁



بسم الله الرحمن الرحيم

المتن

أسألُ اللّهَ الكريم ربّ العرش العظيم أنْ يتولاكَ في الدنيا والآخرة، وأنْ يجعلكَ مبارَكـًا أينما كنتَ، وأن يجعلَكَ ممّن: إذا أُعطيَ شَكَرَ، وإذا ابتُلي صبَر، وإذا أذنبَ استغفر. فإنَّ هؤلاء الثلاثَ عنوانُ السعادة.



الشَّرح:

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هٰذه الرسالة: **القواعد الأربع** بالبسملة متأسِّيًا بكتاب الله جَلَّ جَلَالُهُ، وبنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مراسلاته، وبأئمة المسلمين وعلماء الإسلام، وهٰذه الكلمة مفتاحٌ يُبدأ بها في الدروس والمقالات والكتب، طلبًا لعون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتوفيقِه وتسديدِه. وهي كلمة استعانة؛ ولهذا قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: «الباء» في «**بسم اللّه**» للاستعانة، أي: أبدأ مستعينًا بالله، وطالبًا عونَه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، متيمنًا بذكر اسمه جَلَّ جَلَالُهُ طالبًا البركة.

والجار والمجرور في «**بسم اللّٰه**» متعلقٌ بمحذوف مقدر، يُقدَّر له فعلٌ بحسب حال الفاعل، إنْ كان خروجًا فيُقدّر: بسم الله أخرُجُ، وإن كان دُخولًا فيُقدّر: باسم الله أدخُلُ، وإن كان كتابةً فيُقدّر: باسم الله أكتُبُ، وإن كان قراءةً فيُقدّر: باسم الله أقرأ، وهكذا.

وقد اجتمعت في «**بسم الله الرحمٰن الرحيم**» ثلاثُ أسماء حسنى لله ﷻ:

الأول: اسمه ﷻ «**الله**»، ومعناه: كما قال ابن عباس ﵄: ««الله» ذو الألوهية والمَعْبودية على خلقه أجمعين»[(١)].

فاسمه ﷻ «**الله**» يدلّ على أوصافِ الكمال، ونعوتِ الجلال، وأوصافِ العظمة التي استحق بها ﷻ أن يُؤلَّه ويُعبدَ ويُخضعَ له ويُذلَّ له ﷻ، ودالٌّ أيضًا على العبودية التي هي فعلُ العبدِ، وأنَّ الواجبَ على العبد أن يكونَ ذليلًا لربّه، خاضعًا لجنابه، مُنكسرًا بين يديه، قائمًا بأمره ﷻ، محقِّقًا العبوديةَ التي خُلق لأجلها، وأُوجد لتحقيقها.

الثاني والثالث: «**الرحمٰن الرحيم**»، وهما اسمان دالان على ثبوت الرحمة صفة لله ﷻ.

واسمه ﷻ «**الرحمٰن**» يدلّ على صفة الرحمة القائمة به سبحانه.

واسمه «**الرحيم**» دالٌّ على تعلقها بالمرحومين، كما قال ﷻ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

✍ قال ؒ: «**أسألُ اللّهَ الكريم ربّ العرش العظيم أنْ يتولاكَ في الدنيا والآخرة**».

بدأ ؒ ـ كعادته في كتبه ورسائله عمومًا ـ بالدعاء، وهذه

---

(١) تفسير الطبري (١/١٢٣).

دعواتٌ عظيمةٌ جامعةٌ تجمع للمسلم خيرَي الدنيا والآخرة، وهذا من نُصحه وشفقته رَحِمَهُ اللَّهُ على الناس عمومًا؛ ليتبصروا في دينهم، وليعرفوا الحق الذي خُلقوا من أجله، وليكونوا على حذر من الضلال والباطل.

✍ «أسألُ اللّهَ» أي: أطلب منه جَلَّ جَلَالُهُ.

✍ «الكريم» اسمٌ من أسماء الله جَلَّ جَلَالُهُ، وهو دالٌّ على صفة الكرم، وهذه الصفة تعني: اجتماعَ صفات الخير، وكوامل الصفات، وجوامع النعوت؛ ولهذا فإنَّ هٰذا الاسمَ من الأسماء التي تدل على أوصافٍ عديدةٍ لا على معنى مفرد، ونعوتٍ كثيرةٍ جليلةٍ للرب الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

✍ قال: **«ربّ العرش العظيم»** ذكر هنا ربوبيةَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **والربوبية هي**: الملكُ والخلقُ والتصرفُ والتدبيرُ لهٰذه الكائنات.

وَخَصَّ هنا ذكرَ ربوبيةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للعرش؛ لأنَّه أعظم المخلوقات وأكبرها.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصف في القرآن الكريم عرشَه بالعظمة، ووصفَه بالكرم، ووصفَه بالمجد، وأيضًا جاءت أوصافٌ كثيرةٌ له في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ويأتي في بعض الأذكار والدعوات الثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذكرُ ربوبية الله للعرش، يخصه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالذكر، كما:

في الذكر الذي يقال عند الكرب: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»**(١).

(١) متفق عليه من رواية ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

وفي الدعاء الذي يقال عند النوم: «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ...** »(١) إلى آخر الدعاء.

والعرش أكبر المخلوقات وأعظمها وأثقلها؛ ولهذا لما أراد ﷺ في تسبيحه لله أن يذكر أثقل الأوزان، ذَكَرَ العرشَ فقال: «**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ**»(٢).

فالعرش مخلوق لله ﷻ، خلقَه سبحانه وأوجده من العدم، وشاء ﷻ أن يستوي ويعلو ويرتفعَ عليه علوًّا وارتفاعًا يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه في مواضع من القرآن، كما في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(٣)، وقوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وكم هو جميلٌ بالمؤمن في دعائه لله ﷻ، ومناجاته له أن يذكرَ عظمة ربه وكماله وكبرياءَه وربوبيته، ولاسيما ربوبيته ﷻ للعرش العظيم، ويذكر عظمةَ هذا المخلوق وكبرَه، وضآلةَ المخلوقات الأخرى بالنسبة إليه، مما يعينه على ذكر عظمة الله ﷻ وكبريائِه، وأن هذا الكون الذي تحت العرش ودونه كلَّه مسخّرٌ ومدبرٌ لله ﷻ، يصرِّفه كيف يشاء، ويقضي فيه بما يريد، لا رادَّ لحكمه، ولا معقب لقضائه، وهو سبحانه وتعالى فوق عرشه المجيد، عليٌّ عليه يقضي بما يشاء، ويحكم بما يريد، كلَّ يوم هو في شأن، يُحيي ويُميت، يُعزُّ ويُذلُّ، يُغني ويقني،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في ستّة مواضع في القرآن: الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤.

يُضحك ويُبكي، يُصحُّ ويُمرض... إلى غير ذلك من الأمور التي هي تصريفه وتدبيره لمملكته ﷻ، لا شريك له في التدبير، ولا في التسخير والقضاء، الأمرُ أمرُه، والقضاءُ قضاؤه، والحكمُ حكمه ﷻ.

فيذكر العبدُ عظمة الله وجلاله وكماله وربوبيته، ويجعل ذلك وسيلةً له إلى الله ﷻ بين يدي دعائه في مناجاته لله ومناداته له ﷻ، ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أسألُ اللّهَ الكريم ربّ العرش العظيم**».

ويحتمل أن يكون المرادُ بقوله: «**العظيم**» صفةً لله ﷻ، وذلك إذا فُتحت الميم: «**ربَّ العرشِ العظيمَ**»، ويحتمل أن يكون صفة للعرش، إذا كُسرت: «**ربَّ العرشِ العظيمِ**»، وكلٌّ منهما حقٌّ، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عظيمٌ، ومن أسمائه الحسنى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ «**العظَيم**»، وقد ختمت أعظم آية في القرآن الكريم، وهي آية الكرسي بهذا الاسم، وهو ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وعرشه كذلك عظيم، بل هو أعظم المخلوقات وأكبرها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أنْ يتولاكَ في الدنيا والآخرة**».

هٰذا هو المطلوب أن يكون الله وليًّا لك في دنياك وأخراك، وما قبله وسيلة بين يديه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

«**أنْ يتولّاكَ**» أي: بحفظه، وتوفيقه، وتسديده، وعونه لك على طاعته، وإخراجه لك من الظلمات إلى النور، وهدايتك إلى الحق الذي خُلقت لأجله وأُوجدت لتحقيقه، وأن يُثبِّتك على هٰذا الحق، وأن يُعيذَك من الضلال وسبل الغواية.

«**في الدنيا**» تولي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لعبده في الدنيا يكون بحفظه من مضلات الفتن، وتثبيته على الاستقامة والحق والهدى، وعلى

صراط الله المستقيم إلى أن يتوفاه الله ﷻ وهو عنه راضٍ.

✍ «**والآخرة**» وتولي الله ﷻ لعبده في الآخرة يكون بحفظه من أهوالها وشدائدها، ويكون بإنقاذه وإنجائه من النار ودخولها، وتوفيقه له بدخول الجنة والفوز بنعيمها، وأن يكرمه ﷻ بأعظم نعمة وأجل منة وهي: أن يرى الله ﷻ.

✍ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأنْ يجعلكَ مبارَكًا أينما كنتَ**».

هٰذه دعوة من أعظم الدعوات وأجلها وأفخمها وأكبرها، وقد قال الله تَعَالىٰ في ذكر نبيه عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، ولا يكون الإنسان مباركًا أينما كان إلّا إذا كان في مجالسه كلها صالحًا مُصْلِحًا؛ صالحًا في نفسه ليس منه شرٌّ ولا أذى ولا إفسادٌ ولا نحو ذلك، وأن يكون مُصْلِحًا لغيره بحيث أنه في كل مجلس من مجالسه يُسمع منه الخير، تُسمع منه الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، والتنبيه النافع، ونحو ذلك؛ ولهذا **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ بركة الرجل تعليمُه للخير حيث حلَّ، ونُصحُه لكلِّ من اجتمع به، قال الله تعالى إخبارًا عن المسيح ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١] أي: مُعلِّمًا للخير، داعيًا إلى الله، مُذكِّرًا به، مرغِّبًا في طاعته»[١] **وهذا يتناول أن يكون العبد مباركا أيضًا في نفسه وفي ماله ورزقه وعمله وبيته وحاله وشؤونه.**

✍ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأن يجعلَكَ ممّن: إذا أُعطيَ شَكَرَ، وإذا ابتُلي صبَر، وإذا أذنبَ استغفر**».

دعا بهـذه الأمور الثلاثة العظيمة التي جمعت الخيرَ كلَّه والسعادةَ برُمّتها؛ ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة هٰذه الدعوة مبينًا مكانتها

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص: ٥).

وشأنها: «**فإنَّ هؤلاء الثلاثَ عنوانُ السعادة**»، أي: أن السعادة اجتمعت في هٰذه الثلاث، فإذا وُجدت هٰذه الأمور الثلاثة في العبد فإنَّ السعادة اجتمعت وتحققت فيه، ونالها بأعلى صورها وأبهى حللها.

والسعادةُ من أعظم المطالب التي يسعى الناسُ لتحقيقها، وتُعقد لها المؤتمرات والنّدوات والمجالس، وتُكتب المؤلفات لطلبها، وليس أحدٌ من الناس إلّا ويريد لنفسه السعادة، حتى الذين يباشرون الفساد، ويتعاطون أمور الانحراف يظنون أنها تجلب لهم السعادة، وأنَّ السعادةَ تتحقق لهم بتلك المسالك، التي هي في الحقيقة مهالك ومضار لهم في دنياهم وأخراهم.

فالسعادة لا تنال إلا بتحقيق هٰذه الأوصاف الثلاثة التي ذكرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الدعوة المباركة العظيمة: الشكر، والصبر، والاستغفار.

ولو تأمّل المرء فإنه سيجد أن أحوال العبد في هٰذه الحياة الدنيا لا تخرج عن هٰذه الأمور الثلاثة:

* إما أن يكونَ مُبتلًى بمصيبة.
* أو يكونَ مُكرمًا بنعمة ومِنَّة.
* أو يكونَ واقعًا في ذنب.

ومما يدخل في النعمة: نعمة الدِّين، وهي أعظم النعم، بأن يُوفَّقَ للصلاة، والصيام، وطلبِ العلم، وبرِّ الوالدين، وصلةِ الأرحام.

والواجب على العبد أن يجاهدَ نفسَه مجاهدةً تامةً، على أن يكونَ عند البلاء من الصابرين، وعند النِعَم من الشاكرين للمُنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعند وقوعه في الذنوب من المستغفرين، فإذا كان كذلك فقد جمع لنفسه الخير كلَّه.

وقد قال ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

فالمؤمن عند المصيبة صابرٌ، وعند النعمة شاكرٌ، يفوز في المصائب بثواب الصابرين، وفي النعم بثواب الشاكرين، فهو فائز في كلا الحالين.

وإذا وقع في الذنب بادر إلى الاستغفار إلى الله ﷻ، وهو يعلم أن الله ﷷ يغفر الذنوب، ويعفو عن السيئات ولا يتعاظمه ﷻ ذنب من أن يغفره؛ ولهذا لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روح الله، أسش مناس مهما كان ذنبُه، ومهما عظم جرمه، فإنَّه يبادر بالأوبة والرجوع إلى الله ﷻ.

وقد ذكر النبي ﷺ قصة العبد الذي أذنب ذنبًا ثم استغفر الله، قال ﷺ: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: «أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ»، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: «عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ»، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: «أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ**»(٢)، أي: ما دمت على هذه الحال ملازمًا للاستغفار، مجاهدًا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨)، واللفظ له.

نفسَك على أن لا تقع في المعصية، وأن لا تقع في الخطيئة، وإذا بدر منك زللٌ أو وقعت في خطأ بادرت إلى الاستغفار، فما دمت على هذه الحال فأنت مغفور لك.

وقد قال ﷺ: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(١).

فابنُ آدم ليس معصومًا، بل هو خطّاء؛ لكنْ له ربٌّ يغفر سبحانه وتعالى، ويتجاوز ويصفح عز وجل؛ ولهذا إذا وقع العبد في ذنب، وَجَرَّتْه إليه نفسُه الضعيفةُ، ودعاه إليه الشيطان، أو جَرَّه إليه قرناء السوء، وخلطاء الفساد، أو أغوته نفسُه للوقوع فيه، عليه أن يعلمَ فورًا أنَّ له ربًّا يغفر الذنب ويتجاوز ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

فلا يزال العبد بخير ما دام يعلم أنَّ له ربًّا يغفر ويتجاوز ويصفح سبحانه وتعالى فيُبادر إلى طلب مغفرته، وابن آدم ضعيفٌ، وكثيرُ الخطأ والزلل، ودواعي الخطأ كثيرةٌ، وليس العجبُ مِمَّن هلك كيف هلك، ولكن العجب ممن نجا كيف نجا.

ولا أدل على عظيم حبّ الله جل جلاله للاستغفار والمستغفرين، من قول رَسُولِ اللّهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»(٢).

ولهذا رُبَّما كان بعضُ الذنوب على الإنسان خيرًا له؛ لأنّها تفتح

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١) واللفظ له، عن أنس رضي الله عنه، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

عليه بابَ ندم عظيم، واستغفارٍ كثيرٍ، ورُبما بدون هذا الذنب يقلُّ استغفارُه؛ لكنه يقعُ في ذنب وزلة، ثم يقع في قلبه حياءٌ عظيمٌ من الله ﷻ، ومراقبةٌ لله، وألمٌ وندمٌ على ما وقع فيه من ذنب وخطيئة، فيكثر على لسانه الاستغفار؛ ولهذا لا يزال العبد بخير ما دام أنه إذا أذنب استغفر.

وقد كان سيِّد ولد آدم أكثرَ الناس استغفارًا، وليس في عباد الله أكثر استغفارًا منه ﷺ، مع أنه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما رأيتُ أحدًا أكثرَ أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ»[1]، وقد رأى أبو هريرة رضي الله عنه عبّادَ الصحابة، وخيارَ الأمة، وأكثرَ الناس استغفارًا، وما رأى في ذلك الجيل أكثرَ من النبي عليه الصلاة والسلام ملازمةً للاستغفار.

فكان عليه الصلاة والسلام ملازمًا للاستغفار في حياته كلها، حتى إنّه ختم حياتَه كلَّها بالاستغفار، كما جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيها ظَهْرَهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ**»[2].

والشاهد من كل ما ذُكر أنَّ العبدَ تتحقق له السعادة إذا اجتمعت فيه هٰذه الخصالُ العظيمةُ: الصبر، والشكر، والاستغفار.

ولعل في هذه الدعوة العظيمة المباركة التي دعا بها

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٤٥٤)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٩٢٤).

(٢) متفق عليه من رواية عائشة رضي الله عنها، البخاري (٤٤٤٠)، واللفظ له، ومسلم (٢٤٤٤).

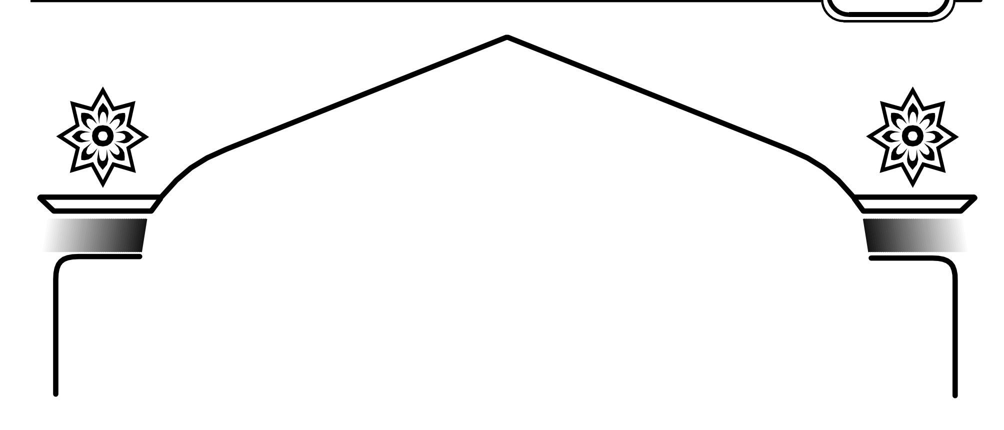
المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لك، أن تكون فاتحةَ بابٍ لك، أن تعتني بهـٰذه الأمور الثلاثة التي هي عنوان السعادة: الصبر والشكر والاستغفار، بحيث تكون مجاهدًا نفسك على تحقيقها، فإذا كان صبرك ضعيفًا فاجتهد في تقويته، واسأل الله جَلَّ جَلَالُهُ المعونةَ على ذلك، وإذا كان شُكرك قليلًا فاجتهد في تكثيره، واسأل الله عَزَّ وَجَلَّ المعونة على ذلك، ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩]، فلن تكون شاكرًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلّا إذا أعانك الله ويسّر لك، وإذا كان استغفارك قليلًا فاجتهد في تكثيره، بأن يكون استغفارك في مجالسك، وفي تنقلاتك، وفي حركاتك استغفارًا كثيرًا، فهٰذه كما أنها دعوة من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقارئ الرسالة، فهي لفتةٌ أيضًا له إلى العناية بهذه الأمور الثلاثة التي هي أبواب السعادة.

وتكون عناية المرء بها من جهتين:

الأولى: أن يدعو بهـذا الدعاء؛ أن يُيسر الله له عَزَّ وَجَلَّ هٰذه الأمور الثلاثة التي هي عنوان السعادة.

والثانية: أن يُتبع الدعاء بفعل الأسباب؛ وذلك بأن يجاهد نفسه على أن يكون من الذين إذا ابتُلوا صبروا، وإذا أُنعم عليهم شكروا، وإذا أَذنبوا استغفروا، وبالله وحده التوفيق، وهو وحده المستعان.



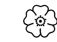


المتن

✍ **اعلمْ ـ أرشدكَ اللّهُ لطاعته ـ: أنَّ الحنيفيّةَ ملّةَ إبراهيم: أن تعبدَ الله مخلصًا له الدين، كما قال تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

فإذا عرفتَ أنَّ الله خلقك لعبادته، فاعلم: أنَّ العبادةَ لا تسمّى عبادةً إلّا مع التوحيد، كما أنَّ الصلاةَ لا تسمّى صلاةً إلا مع الطّهارة، فإذا دخل الشركُ في العبادة فسدتْ كالحدَث إذا دخل في الطهارة.

فإذا عرفتَ أنَّ الشركَ إذا خالط العبادةَ أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبُه من الخالدين في النار، عرفتَ أنَّ أهمّ ما عليك: معرفة ذلك، لعلّ الله أن يخلّصَك من هٰذه الشَّبَكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله تَعَالىٰ فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، **وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.**

الشَّرْح:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **«اعلمْ ـ أرشدكَ اللّهُ لطاعته ـ»**.

«اعلمْ» هٰذه الكلمة يؤتى بها بين يدي الأمور العظيمة، وقد تكرر مجيئها في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ في التنبيه على الأمور العظام، من ذلكم قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة: ٩٨] فهـذه يؤتى بها لشَدِّ الانتباه ولفته، واستدعاء القلوب للإصغاء، ووعي هٰذه الأمور العظيمة الكبيرة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **«أرشدكَ اللّهُ لطاعته»** هذه دعوةٌ عظيمةٌ.

«أرشدكَ» أي: جعلك من أهل الرشاد، وهو ضدُّ الغواية، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ٢]، الضلال: ضدُّه الهداية، والغواية: ضدُّها الرشاد، وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ أي: أنه سالمٌ من الضلال والغواية، وذلك بأن اجتمع له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كمالُ العلم النافع والعمل الصالح.

وقد قال نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في ذكر الخلفاء الراشدين: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»[1] جمع لهم بين هاتين الخصلتين، وهما تعنيان صلاحَ علم العبد، وصلاحَ عمله؛ الهداية صلاح العلم والرشاد صلاح العمل.

وإذا انفرد أحدُ هذين اللفظين شَمِلَ معنى الآخر كما هنا، وعليه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢) واللفظ له، عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٣٥).

فالمعنى: جعلك الله من أهل الرشاد الذين هم عالمون بالطاعة، عاملون بها محافظون عليها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«أنَّ الحنيفيّةَ ملّةَ إبراهيم: أن تعبدَ الله مخلصًا له الدين»**.

الأمر الذي دعا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الانتباه إلى ضبطه، والعلم به، ومعرفته، هذه الحنيفية التي هي ملة أبينا إبراهيم خليل الرحمـٰن عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣]، فملة إبراهيم التي أُمرنا باتباعها، هي: الحنيفية؛ ومتأكدٌّ على كل مسلم أن يعرف ما هي؛ لأنَّا أُمرنا باتباعها، ولزومها، والتمسك بها، والمحافظة عليها، وأن نكون من أهلها.

وهي: أن تعبدالله مخلصًا له الدين؛ ولهذا لا يكون المرء حنيفًا إلّا إذا كان مخلصًا، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، الحنفاء: جمع حنيف.

والحنف: أصله في اللغة الميل[1] والمراد هنا: الميلُ عن الباطل، والعدولُ عنه إلى الحق والهدى والتوحيد والاستقامة، مائلًا عن الشرك إلى التوحيد، وعن الضلال إلى الهدى، وعن الباطل إلى الحق، وعن الغواية إلى الرشاد، هٰذا هو الحنيف.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«أن تعبدَ الله مخلصًا له الدين»**: هذا هو التوحيد الذي خلقنا لأجله، وأُوجدنا لتحقيقه؛ ولهذا قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**كما قال تعالى**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]».

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢/١١٠).

فالتوحيد الذي خُلق الخلق لأجله، وأُوجدوا لتحقيقه، هو: أن يعبدوا الله ﷻ مخلصين له الدين.

وهٰذا يتطلب منك أن تعرف:

أولًا: العبادة ما هي؟ وما حقيقتها؟ وما أفرادها؟

ثانيًا: أن تجعل العبادة كلَّها لله، لا تجعل لأحد منها شيئًا أيًّا كان، ومهما كان، لا تجعل منها حظًّا ولا نصيبًا، لا لملك مقرَّب، ولا لنبي مرسل، ولا لغيرهما.

✍ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**مخلصًا**» أي: أن تكون عبادتك لله خالصةً، ومعنى خالصة: أي: صافيةً نقيةً لله ﷻ، ليس فيها شائبةُ شركٍ ولا رياء، ولا نحو ذلك.

وإذا أردت أن تعرف معنى الإخلاص في لغة العرب فاقرأ قول الله تَعَالىٰ في سورة النحل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٦٦]، ﴿خَالِصًا﴾ أي: صافيًا نقيًّا.

الخالص في اللغة: الصافي النقي[١]، وقد وصف ربنا جَلَّ جَلَالُهُ اللبنَ الذي يخرج من بهيمة الأنعام بأنه خالصٌ؛ أي: صافٍ نقيٌّ، ذكر ﷻ أنَّه أخرجه من بين فرث ودم؛ لكنّه خرج خالصًا، أي: صافيًا نقيًا، لا ترى فيه نقطةَ دمٍ، ولا قطعةَ فرثٍ، ويخرج أيضًا سائغًا للشاربين، أي: يشربونه بتلذذٍ، وهناءة، مع أنّهم يعلمون من أين خرج، فهٰذه الآية تُبيِّن معنى الخالص في لغة العرب.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠٨/٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، أي: الصافي النقي.

فالعبادةُ لا تكون مقبولةً من العبد إلّا إذا كانت لله خالصةً، ومعنى خالصةً: أي: صافيةً نقيةً، لم يُرَدْ بها إلا الله جَلَّ جَلَالُهُ، ولهذا إذا خالط العبادةَ نيةٌ أخرى فإنها تخرج عن الإخلاص، وإذا خرجت عن الإخلاص لم تقبل؛ ولهذا قال ربنا عَزَّ وَجَلَّ في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[1].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**كما قال تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]».

الخلقُ فعلُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **قال:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ﴾ أي: لم أوجد الثقلين من العدم إلا لغاية، بيّنها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. وقد جاء **عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كلُّ ما ورد في القرآن من العبادة، فمعناها التوحيد»[2]، **فمعنى قوله** ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا ليُوَحِّدون في العبادة، ليخصُّوني بها، لا يعبدوا معي غيري؛ لكن هل كلهم فعلوا الذي خلقوا له؟ الجواب: لا؛ ولهذا قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

والعبادة فعل العبد، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل في العبد مشيئةً، وهداه النجدين: طريقَ الحق، وطريقَ الضلال، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) تفسير البغوي (١/٧١).

هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فإذا عرفتَ أنَّ الله خلقك لعبادته، فاعلم: أنَّ العبادةَ لا تسمّى عبادةً إلّا مع التوحيد**».

وهذا أصل لابد أن يعرفَه كلُّ مسلم: العبادةُ لا تسمى عبادةً إلا مع التوحيد؛ وقد تقدم قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كلُّ ما ورد في القرآن من العبادة، فمعناها التوحيد»(١).

فالعبادة إذا دخلها إرادةُ غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإشراكه معه لا تكون عبادة.

وما يمارسه الضُّلّال من سؤال الأحجار، وعبادة القباب والأضرحة والأشجار وغيرها، كلّه خروج من هؤلاء عمّا خُلقوا لأجله، فمَن عبدالله وعبد غيره معه ولو في قدر يسير من العبادة لا يكون عبدًا لله، وعمله ليس عبادة لله، وإنّما هو شركٌ؛ ولهذا العبادة لا تكون عبادةً إلّا مع التوحيد.

ونظّر لذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمثال يوضح الأمر، قال: «**كما أنَّ الصلاةَ لا تسمّى صلاةً إلا مع الطّهارة**».

فلو أنَّ إنسانًا صلى؛ ركع وسجد، وأتى بأعمال الصلاة كلها من أولِّها إلى آخرها؛ لكنه على غير طهارة، هل يقال له: صليت؟ أو يقال له: ارجع فَصَلِّ فإنك لم تصل؟ أي: لم تُصلِّ الصلاةَ التي أُمرتَ بها، وطُلبتْ منك.

فالذي يصلي بغير طهارة كأنَّه ما صلى، فصلاتُه وجودُها وعدمُها سواء؛ لأنَّ الصلاة لا تكون صلاةً إلا مع الطهارة، والعبادة لا تكون

---

(١) سبق تخريجه.

عبادةً إلا مع التوحيد، فإذا كانت العبادةُ قائمةً على التوحيد كانت عبادةً صحيحةً مقبولةً، وإذا كانت العبادة ـ ولو كانت كثيرةً، أمضى فيها حياته ودهره ـ قائمةً على غير التوحيد فإنها تذهب سُدى، وتضيع هباءً منثورًا ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

فهـذا أصل عظيم يجب على كل مسلم أن يضبطه: العبادة لا تكون عبادةً إلا مع التوحيد، كما أنَّ الصلاة لا تكون صلاةً إلا بالطهارة، فمن عبدَ الله بغير التوحيد فهو مشرك بالله، لا يقبل الله ﷻ منه عبادته، ومَن عبدَ الله ﷿ بالصلاة من غير طهارة لم يقبل الله منه صلاته، فوجود الصلاة ـ والحال هذه ـ وعدمها سواء.

والأمر الثاني: أن تجعل العبادة كلها لله؛ لأنَّ الإنسانَ لو جعل لغير الله ﷻ شيئًا من العبادة ـ ولو قليلًا ـ أبطل دينَه كلَّه.

لماذا يبطل دينه كله؟ لأنّ العبادةَ لا تكون عبادةً إلا مع التوحيد، فإذا جُعل مع الله ﷻ شريكٌ في العبادة، ولو في شيء قليل منها، أبطل العبادةَ كلَّها، والشِّركُ في العبادة مثل السّمّ في الطعام، إذا وُضع السمّ في بعض الطعام أفسد الطعام كلَّه، وأتلفه أجمعه، ومن الذي يقبل طعامًا وُضع في بعضه سمٌّ.

والعبادة لا تكون عبادة إلا مع التوحيد، بأن يكون العبدُ موحدًا لله ﷻ، مخلصًا في عبادته كلها، بأن تكون صلاته لله، وحجه لله، وذبحه لله، نذره لله، دعاؤه يتوجه به إلى الله، توكله على الله، رجاؤه من الله، خوفه من الله، وهكذا في كل عباداته لا يصرف شيئًا منها إلا لله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، والآيات في هٰذا المعنى كثيرة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **«فإذا دخل الشركُ في العبادة فسدتْ كالحدَث إذا دخل في الطهارة»**.

الإنسان إذا كان على طهارة، ثم أحدث، هل تبقى طهارته على ما هي عليه وقد أحدث؟

الجواب: لا. والشركُ إذا دخل في العبادة أفسدها، مثلَ الحدث إذا دخل في الطهار، فإنه يُفسدها، ويحتاج أن يتطهر من جديد.

وهٰذا الشبه بين الطهارة من الحدث والطهارة من الشرك جاءت الإشارة إليه في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ٤].

قيل في معناها: طهِّر نفسَك من الشرك، ومما ينقض الدين، ويفسد الإيمان.

وقيل في معناها: طهِّر ثيابَك من النجاسة الحسِّيَة[١].

فهو يتناول الطهارة المعنوية، والطهارة الحسية.

وهذا المثال الذي ذكره المصنف يجلي هٰذا الأمر تجليةً واضحةً، والمصلي الذي يعرف مكانةَ الطهارة في الصلاة، إذا توجه للمسجد ثم أحدث وهو في الطريق، هل يستمر في السير إلى المسجد؟ أو يبحث عما يتطهر به ثم يدخل المسجد ليصلي طاهرًا؟ والأمر ينبغي أن يكون كذلك بل أشد في باب العبادة، فإنَّ العبادة لا تكون عبادةً مقبولةً إلا إذا خلصت، ونُقِّيت، وسلمت من الشرك، فإذا دخل الشركُ في العبادة أفسدها وأبطلها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **«فإذا عرفتَ أنَّ الشركَ إذا خالط العبادةَ أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبُه من الخالدين في النار، عرفتَ**

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/١٠ ـ ١٢)، والسعدي (ص: ٨٩٥).

أنَّ أهمّ ما عليك: معرفة ذلك»، أي: معرفة الشرك.

الشركُ إذا دخل في العبادة أفسدها، وجعلها حابطةً باطلةً غير مقبولة، إذن يجب علينا أن نعرف الشرك من أجل أن ننقي عبادتنا لله ﷻ ونُصفِّيها منه، ونجعلها خالصةً ليس فيها شيء من الشرك.

وإذا لم يعرف الإنسانُ الشركَ وحقيقتَه، رُبَّما دخل الشركُ في جوانب من عبادته فأفسدها، وهو في قرارة نفسه لا يزال يظن أنّه من أهل التوحيد، ولا إلـٰه إلا الله؛ ولهذا كان واجبًا على كل مسلم أن يعرفَ الشركَ من أجل أن يحذره ويخاف على نفسه من الوقوع فيه.

عَرَفْتُ الشَّرَّ لا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقِّيهِ
وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ مِنَ النَّاسِ يَقَعْ فيهِ[1]

وتأمل دعوةَ إمام الحنفاء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦].

فإذن يجب على المسلم أن يعرف الشرك من أجل أن يحذرَه، كما أنّه يجب أن يعرف التوحيدَ من أجل أن يحقِّقَه، ويكون من أهله.

قوله رحمه الله: «**وأحبط العمل**»: يدل عليه قول الله ﷻ في القرآن: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ ـ ٦٦]، ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ أي وحِّدْه.

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني (ص: ٣٨٧).

فالشرك إذا دخل العبادةَ أفسدها، وأحبط العملَ، «**وصار صاحبُه من الخالدين في النار**»؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

«**عرفتَ أنَّ أهمّ ما عليك: معرفة ذلك**»، أي: معرفة الشرك لتوقيه، ومعرفة التوحيد لتحقيقه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لعلّ الله أن يخلّصَك من هٰذه الشَّبَكة**».

انظر هٰذا الوصف العجيب للشرك، شبّهه بالشبكة، والمعروف أنَّ الشبكة لها خيوطٌ كثيرةٌ ممتدة الأطراف هنا وهناك، فلا بد أن يقع الإنسان في شبكة من تلك الشباك، وشَرَكٍ من تلك الأشراك إلا مَن حماه الله ووقاه بأن عرف التوحيد فلزمه، والشرك فحذره.

فإذا عرفت أنَّ الشركَ أخطرُ شيءٍ، وأنّه إذا دخل العبادة أفسدها، وأبطلها، وجب عليك معرفة الشرك حتى تكون منه على حذر، وتوقٍّ، وبُعد.

وأيضًا يفيد هذا التعبير من المصنف بقوله: «**هٰذه الشَّبَكة**»: أنَّ الشركَ له مجالات كثيرةٌ، وجوانبُ عديدةٌ من خلالها يُصطاد الناس، ويخرجون عن الإخلاص والصفاء في العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلى الوقوع في شبكة الشرك، والعياذ بالله.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وهي الشرك باللّه**»، يتطلّب منك ـ كما تقدمت، وأعيد ذلك لأهميته ـ:

ـ أن تعرف الشرك.

ـ وأن تكون على حذر منه.

ـ وأن تسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعيذك منه.

وقد جاء في دعاء عظيم علمه النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه عندما قال له: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟**» قَالَ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»(١).

قال رحمه الله: «**وهي الشرك بالله الذي قال الله تَعَالىٰ فيه:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]»، وهذه الآية وردت في موضعين من سورة النساء(٢).

وقد توعد تبارك وتعالى المشركَ الذي يموت على الشرك، ويلقى الله سبحانه وتعالى مشركًا بأنّه لا يغفر له؛ بل يعذبه في النار، ويُخلِّده فيها أبدَ الآباد، ولا مَطمعَ له في رحمة الله أبدًا إذا مات على الشرك بالله جل جلاله؛ ولهذا قال الله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦﴾ [فاطر: ٣٦]، لا يُخفَّف عنه العذاب؛ بل إنه يزيد؛ ولهذا قال جل جلاله في سورة النبأ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ [النبأ: ٣٠]، قال بعض المفسرين: «ما نزلت على أهل النار آيةٌ أشد منها ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ فهم في مزيد من الله أبدًا»(٣)؛ لأنهم عندما يدخلون النار لا يزال عندهم بعض الآمال:

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦) عن معقل بن يسار رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٦٦).

(٢) سورة النساء (الآية: ٤٨ و١١٦).

(٣) قاله عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، انظر: تفسير الطبري (١٦٩/٢٤).

منها: أن يعادوا إلى الدنيا مرةً ثانيةً: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧].

ومنها: أن يُقضى عليهم فيموتوا، ويَسْلموا من هٰذا العذاب، ومن هذه الشدائد.

ومنها: أن يُخفَّف عنهم العذاب ولو قليلًا، ثم يأتيهم هٰذا القول الذي يقطع عليهم كلَّ الآمال ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ أي: لن تنالوا في النار إلا زيادةَ العذاب، لا يَنقطع، ولا يُخفَّف، ولا يُقضى على أهله فيموتوا، بل لا يزالون في العذاب أبد الآباد، مخلدين في نار جهنم، أجارنا الله أجمعين ووقانا منها.

فإذن يجب على العبد أن يكونَ على غاية الحذر من هذا الشرك الذي هو أخطر أمر، وأعظم ما نهى الله سبحانه وتعالى عبادَه عنه؛ ولهذا أَوَّلُ أمر يصادفك في القرآن هو الأمر بالعبادة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وأول نهي يصادفك في القرآن هو النهي عن الشرك ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

ثم قال رحمه الله: «**وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه**».

وانتبه لقوله: «**ذكرها الله تعالى في كتابه**»، لتعلم من خلال ذلك أنَّه رحمه الله لا يأتي بشيء من نفسه، وإنَّما يجمع للناس ما جاء في القرآن، وما جاء في سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

فهذا هو المنهجُ الذي سار عليه رحمه الله في بيان العلم، وتقرير الحق والهدى، فهو في كل ما يُبيِّنه ويُقرِّرُه يذكر شواهد ذلك من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، لا يأتي بشيء من قِبَلِ نفسه، ولا يبني حكمًا على الهوى، أو على التجربة، أو على الذوق، أو نحو ذلك

من المسالك التي يسلكها كثيرٌ من الناس في الاستدلال.

وقد جاءت عامة كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائمةً على هٰذا الأصل؛ يذكر الحكمَ مضمومًا إليه دليلُه من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وهذه هي الطريقة الصحيحة التي ينبغي أن يكون عليها كلُّ مسلم في عقيدته ودينه؛ إذ كيف تُعرف العقيدة الصحيحة والإيمان القويم بغير الاعتماد على كلام الله، وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وكما قال **ابن أبي العز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**كيف يُرام الوصولُ إلى علم الأصول، بغير اتباع ما جاء به الرسولُ** ﷺ**؟**»(١).

وكان **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كثيرًا ما يقول**: «**مَن فارق الدليلَ ضلَّ السبيلَ، ولا دليلَ إلَّا بما جاء به الرسولُ** ﷺ»(٢).

فهذه جادةٌ مباركةٌ، وطريقٌ قويمةٌ كان عليها الإمام المُجدِّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان عليها أئمة أهل العلم مِن قبله؛ يُقيمون أمورَ الدين على قال الله، قال رسوله ﷺ.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **القواعد الأربع** قاعدةً قاعدةً، وذاكر مع كلِّ قاعدةٍ دليلَها، وشاهدَها من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وهي قواعدُ عظيمةٌ جليلةٌ كبيرةٌ، ينبغي على كل مسلم ومسلمة أن يحفظها ويعتني بها.

ولعل أعظم هدية يقدمها المرء لإخوانه وجيرانه ورفقائه أن يعرفهم هٰذه القواعد معرفةً جيدةً، فهي أعظم ما يهدى، وهي قواعد عظام كبار دل عليها كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وسنة نبيه ﷺ.

وقد اشتُهرت هذه الرسالة بـ **القواعد الأربع**؛ لأنَّها جمعت أربع

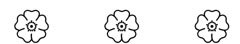
---

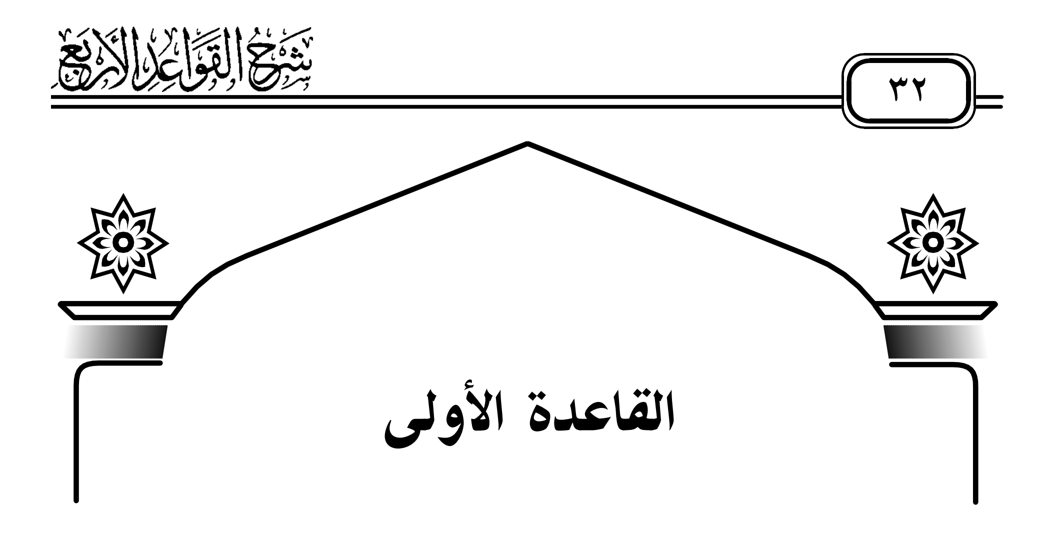
(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/١٢٠).

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/٨٣).

قواعد عظيمة ومهمة يحتاج إليها كل مسلم، بمعرفتها يُميِّز المسلم بين الحق والباطل، والتوحيد والشرك، والهدى والضلال، ولا تلتبس عليه الأمور، ولا تنطلي عليه شبهات المضلين وأضاليل المبطلين؛ بل إنَّ هٰذه القواعدَ تكون له ـ بإذن الله ﷻ ـ نِعمَ العونُ على المحافظة على التوحيد الصحيح، والإيمان الراسخ، والبعدِ عن الشرك الذي هو أعظم الذنوب، وأظلم الظلم.

يعرف المسلم من خلال هذه القواعد حقيقةَ التوحيد الذي خُلق الخلقُ لأجله، وأوجدوا لتحقيقه، ويعرف حقيقةَ ضده وما ينقضه، وهو الشرك بالله ﷻ، الذي هو أعظم شيء نهى الله تبارك وتعالى عباده عنه، وتوعّد أهله بأن يعذبهم يوم القيامة، وأن يخلِّدهم في نار جهنم أبد الآباد، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]. وكل من قرأ من المسلمين ما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ من الوعيد للمشركين، والتهديد لهم، والعقوبات التي أعدّها الله تبارك وتعالى لهم، يخاف من الشرك أعظم الخوف، ويحاذره أشد المحاذرة، ويحتاط لنفسه من أن يقع فيه، أو في شيء من جوانبه.

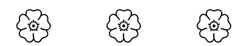




القاعدة الأولى

المتن

القاعدة الأولى: أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأنّ الله تَعَالىٰ هو الخالِق المدبِّر، وأنَّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام، والدليل: قوله تَعَالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].



الشَّرح:

هٰذا أصلٌ عظيمٌ، وقاعدةٌ مهمةٌ: أن نعلم أنَّ الكفار المشركين الذين ورد ذمُّهم في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وقاتلهم النبي ﷺ، واستباح أموالهم، كانوا مقرين بأنَّ الخالقَ المنعمَ الرازقَ هو الله تبارك وتعالى، ما كانوا يقولون: إنَّ الذي يخلق هو الأصنام، أو الذي يرزق هو الأصنام، أو الذي يُعطي ويمنع هو الأصنام.

والله سبحانه وتعالى بيّن لنا ذلك في القرآن الكريم في آيات كثيرةً، وأخبر أنَّ هـذا الإقرارَ لم يدخلهم في الإسلام.

قال رحمه الله: «**لم يُدْخِلْهم في الإسلام**»؛ لأنَّ الدخول في الإسلام لا يكون بمجرد الإقرار بربوبية الله، وأنَّه عز وجل الخالق الرازق المنعم المتصرف؛ بل لابدَّ مع ذلك من الإتيان بلازم هذا الإقرار، ألا وهو أن يُفرَد تبارك وتعالى بالعبادة، وأن يُخصَّ وحده عز وجل بالطاعة، وأن لا يُجعَل معه شريكٌ، وأن يُخلص الدين له جل جلاله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]،

وكما قال جل جلاله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦].

وكما قال جل جلاله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وكما قال جل جلاله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وكما قال جل جلاله: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وكما قال جل جلاله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وكما قال جل جلاله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، والآيات في هـٰذا المعنى كثيرةٌ.

فلا يكون المرء موحِّدًا لله عز وجل بمجرد إقراره بأن الرب والخالق والرازق والمنعم هو الله، بل لا يكون موحِّدًا إلّا إذا جاء بالتوحيد العملي الذي هو إخلاص العبادة لله تبارك وتعالى، وإفراده سبحانه بها دون سواه؛ بأن لا يدعو إلا الله، ولا يستغيث إلا بالله، ولا يُصلي ويسجد ويركع إلا لله، ولا يذبح وينذر إلا لله، ولا يتوكَّل ويرجو ويخاف إلا من الله، ولا يصرف شيئًا من العبادة إلا له عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣]، أي: بهذا التوحيد والإخلاص لله ﷻ.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٥ ـ ٦٧].

ولما كانت هذه الرسالةُ رسالةً مختصرةً، لا تحتمل التوسع وبسط الدلائل والشواهد، اكتفى بذكر دليلٍ واحدٍ من دلائل القرآن الكريم على أنَّ الكفار المشركين الذين قاتلهم النبي عليه الصلاة والسلام كانوا مقرِّين بأنَّ الخالقَ الرازقَ المنعمَ المتصرفَ المدبرَ هو الله تبارك وتعالى، فساق رحمه الله ما جاء في سورة يونس: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

﴿قُلْ﴾ أيها النبيُ موجهًا الخطابَ للمشركين الذين بعثتَ فيهم، والذين يعبدون الأصنام، ويتخذون الآلهة والأنداد، وعبدوا مع الله تبارك وتعالى غيره، سلهم هٰذا السؤال: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟ مَن الذي يمنّ عليكم بالرزق من السماء؛ أي: بالأمطار التي تنزل من السماء، محملةً بالخير والبركة والغيث للناس والعباد والماشية، ومن الأرض بإخراج النباتات والزروع وأصناف النِعَم التي يمنّ بها تبارك وتعالى على عباده؟

ماذا يقولون؟ هل يقولون: إنَّ الذي يرزقنا من السماء والأرض هو الأصنام؟ لا يقولون ذلك؛ بل يعتقدون أنَّ الأصنامَ ليست خالقةً ولا رازقةً ولا مدبِّرةً ولا متصرفةً.

إذن لماذا يعبدونها؟ (سيأتي الجواب على ذلك).

أيضًا سَلْهم: من الذي يملك السمعَ والأبصار؟ من الذي بيده ملكُ السمع والبصر، وملك كل شيء؟ سيقولون: الله هو المالك للسمع، وهو المالك للبصر، وهو المالك لكل شيء.

أيضًا سلهم: من يُخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي؟ من هو الذي بيده الحياة والموت، والتصريف والتدبير؟ لا يقولون: الأصنام؛ بل يقولون: الذي يفعل ذلك هو الله ﷻ الخالق لكل شيء، المتصرف في هٰذا الكون وحده ﷻ.

أيضًا سلهم: من الذي يدبر أمورَ هٰذا الكونِ من إحياء وإماتة، وعطاء ومنع، وخفض ورفع، وعز وذُل، وغير ذلك من أنواع التدبيرات؟ لا يقولون: الأصنام هي التي تدبر الأمر؛ بل يقولون: الله؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ هٰذا الجواب الذي يجيبون به.

﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ إذا قالوا: إنَّ الذي يُخرج هٰذه الأشياء، ويُدبِّر هٰذه الأمور هو الله، فقل لهم: ألا تتقون الله، لماذا تتخذون معه أندادًا، وتتخذون معه شركاء، وأنتم تُقرون أنّه لا خالق لكم غير الله، ولا مدبِّر للأمر غير الله، ولا مالك إلا الله، ألا تتقون الله فتفردونه بالتوحيد، وتخصونه بالطاعة، وتخلصون له الدين.

فهٰذه الآية ولها نظائرُ كثيرةٌ في كتاب الله ﷻ ـ تركها المصنف مراعاةً للاختصار في هٰذه الرسالة ـ كلُّها تشهد وتدل على أنَّ المشركين كانوا يقرون بأن الخالق الرازق المنعم المتصرف هو الله ﷻ.

ويأتي هنا سؤالٌ قرَّر من خلاله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هٰذه القاعدة،

هل إقرار المشركين بأنَّ الخالق الرازق المنعم المالك هو الله؛ أدخلهم في التوحيد والإسلام؟ هل كانوا بهذا الإقرار موحدين مسلمين؟ أم هم مع هٰذا الإقرار مشركون بالله كفار؟

وانظر الجواب على هٰذا السؤال في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

ومعنى قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ أي: خالقًا رازقًا مالكًا مدبرًا متصرفًا ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ أي: مشركون غيره في العبادة، يُقرون بأنَّه الخالق ولكن يدعون غيره، ويتوكلون على غيره، ويذبحون لغيره، ويصرفون أنواعًا من العبادة لغيره.

وأيضًا قوله تبارك وتعالى في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ ـ ٢٢].

والخطاب في قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ للمشركين الذين اتخذوا الأنداد.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنَّه لا خالق لكم غير الله، ولا رازق لكم غيره، ولا مدبر للأمر غيره.

والشواهد على أنَّهم يعلمون ذلك كثيرةٌ في كتاب الله؛ من يملك السمع والأبصار؟، من يملك السماء والأرض؟، من يدبر الأمر؟، من يخرج الحي من الميت؟، كل ذلك يجيبون قائلين: الله.

إذن هم يعلمون أن الموجد الخالق لذلك هو الله تبارك وتعالى، ليس له شريك في ذلك.

إذن لماذا يتخذون الأنداد والشركاء؟

هل الجواب على ذلك: أنَّهم اتخذوا الأنداد والشركاء؛ لأنهم يعتقدون أن هٰذه الأنداد تَخلق، وأنها تُحيي وتُميت، وأنّها تَرزق من السماء والأرض، وأنّها تَملك السمعَ والأبصارَ؟ ليس هذا جوابهم.

إذن لماذا يتخذون الأنداد مع أنّهم يقرون أنّها لا تخلق ولا ترزق ولا تدبر الأمر، ولا تحيي ولا تميت؟

الجواب على ذلك سيأتي عند المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قاعدة آتية؛ لكن هنا ينبغي أن نفهم من هٰذه القاعدة العظيمة التي ذكرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ إقرارَ المرء بأنّ الخالق الرازق المنعم المتصرف هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وحدَه لا يكفي لِأن يكون به موحدًا، بل لا يكون موحدًا لله إلا إذا أتى بلازمه، ألا وهو إفراد الله تَعَالىٰ بالعبادة، وإخلاص الدين له، كما قال ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وكما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، أي: اعبدوا الرب الذي تفرد بالخلق والرَّزق والمُلك والإحياء والتدبير والتصرف، وأفردوه وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعبادة.

وهٰذه الحقيقة التي قرّرها القرآن قد تنبه لها بعض المشركين فكانت سببًا لهدايتهم، وتركهم لعبادة الأوثان، وتخلّصهم من عبادة الأصنام التي لا تملك شيئًا، ولا تملك ضرًا ولا عطاءً ولا نفعًا.

مثل قصة عمرو بن الجموح، وهي قصةٌ عجيبةٌ، وكانت سببَ إسلامه: «وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سلِمة وأشرافهم، وكان قد اتخذ صنمًا من خشب في داره، يُقال له: مناة ـ كما كانت الأشراف يصنعون ـ يتخذه إلهًا يُعظِّمه ويُطهّره، فلما أسلم فتيان بني سلمة؛ ابنه معاذ، ومعاذ بن جبل كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة، وفيها عِذَر الناس مُنكَّسًا على رأسه.

فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم مَن عدا على إلهنا هذه الليلة؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسَله وطهَّره وطيَّبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك، لأخزينَّه.

فإذا أمسى ونام عمرو عَدَوْا عليه، ففعلوا مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيَغسِله ويُطهِّره ويُطيِّبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى، فيفعلون به مثل ذلك.

فلمّا أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقَوْه يومًا فغسله وطهّره وطيّبه، ثم جاء بسيفه فعلّقه عليه، ثم قال له: إني والله ما أعلم مَن يصنع بك ما أرى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك.

فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبًا ميتًا فقرنوه به بحبل، ثم ألقَوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عِذَر من عِذَر الناس.

وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكَّسًا مقرونًا بكلب ميّت، فلما رآه أبصر شأنه، وكلّمه مَن أسلم مِن قومه، فأسلم برحمة الله، وحسُن إسلامه»(١).

ومثل هٰذه القصة أيضًا قصةُ رجلٍ من المشركين: سافر إلى مكان بعيد، إلى صنم من الأصنام، ومعه أغنامه، وهو يريد أن يدعو هذا الصنم، ويسأله، ويعرض عليه حاجاته، ولما وصل إلى الصنم فوجئ أنَّ فوق الصنم ثعلبٌ، والثعلب يبول، والبول ينزل من فوق رأس الصنم إلى أسفل قدميه، فهاله المنظر، ثم قال:

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٤/٤١٣ - ٤١٤).

أَرَبٌّ يَبـولُ الـثُّـعْـلُـبـانُ بِـرَأْسـهِ لَقدْ ذَلَّ مَنْ بالَتْ عَليْهِ الثَّعالِبُ[١]

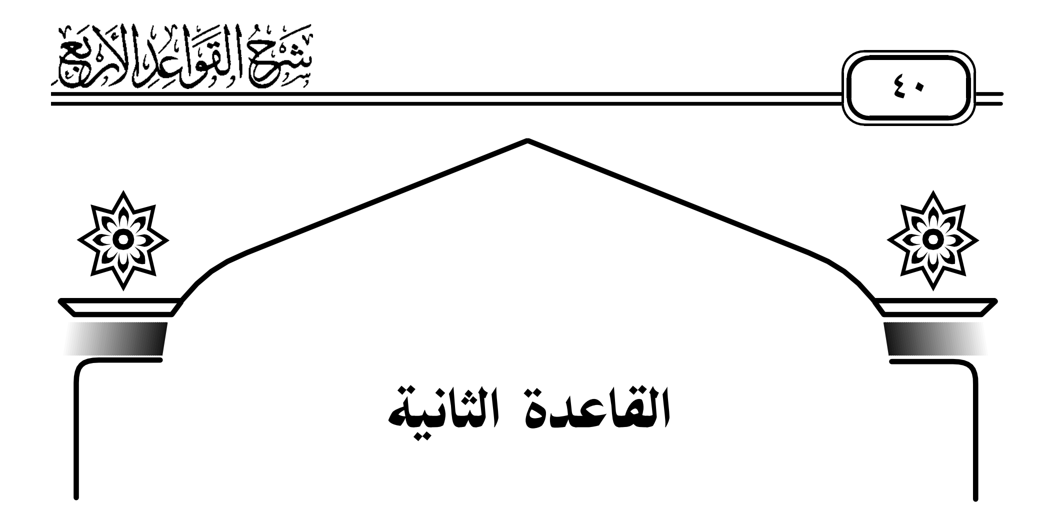
هي لا تملك شيئًا لنفسها، فكيف تملك شيئًا لغيرها، يقول الله ﷻ: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

كيف تعبدون أحجارًا أو أشجارًا لا تملك لنفسها ضرًّا ولا منعًا ولا عطاء ولا خفضًا ولا رفعًا؟

الحاصل أنَّ إقرار العبد بأن الخالق الرازق المنعم المتصرف المدبر هو الله، هذا وحده لا يكفي لأن يكون المرء موحدًا؛ بل لابدَّ مع ذلك أن يأتي بلازم ذلك، وهو: توحيد الله ﷻ بالعبادة، وإخلاص الدين له ﷻ.



(١) أدب الكاتب لابن قتيبة (ص: ٢٩٠)، والأمثال لابن سلّام (ص: ١٢٢).



القاعدة الثانية

المتن

✍ القاعدة الثانية: أنّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلّا لطلب القُرْبة والشفاعة.

فدليل القُربة: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

ودليل الشفاعة: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

والشفاعة شفاعتان:

* شفاعة منفيّة.
* وشفاعة مثبَتة.

فالشفاعة المنفيّة: ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه

إلّا الله، والدليل: قوله تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة: ٢٥٤].

والشفاعة المثبَتة: هي: التي تُطلب من الله.

والشّافع: مُكْرَمٌ بالشفاعة.

والمشفوع له: من رضيَ اللّهُ قولَه وعملَه بعد الإذن، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].



الشَّرْح:

وهٰذه قاعدةٌ عظيمةٌ، وهي متمِّمةٌ ومكمِّلةٌ للقاعدة الأولى؛ وذلك أنّنا عرفنا في القاعدة الأولى أنَّ المشركين الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا يقرون بأنَّ الخالق الرازق المنعم المتصرف هو الله تبارك وتعالى، وأنَّ هٰذا لم يُدخلهم في الإسلام.

إذن هنا سؤالٌ يطرح نفسه: إذا كانوا يُقرُّون بأنَّ الذي يخلق ويرزق وينعم ويتصرّف ويدبر الأمر هو الله تبارك وتعالى، وأن الأصنام لا تخلق ولا ترزق ولا تعطي ولا تمنع.. إلخ، فلماذا يعبدون هٰذه الأصنام؟ لماذا يتجهون إليها بالسؤال؟ لماذا يبكون عندها، ويتضرعون ويلحون إليها بالطلب، ويصرفون لها أنواعًا من العبادة؟ ما السبب؟

يأتي الجواب في هٰذه القاعدة.

قال رحمه الله: (القاعدة الثانية أنهم يقولون ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة).

المشركون يقولون: نحن لم نتجه إلى هذه الأصنام، ولم ندعُها؛ لأنها ترزق، أو لأنها تُحيي، فهٰذه أمور ليست إلا لله ﷻ.

إذن لماذا تعبدونها؟ قالوا: نحن لم نعبدها إلا **للقربة والشفاعة**.

الأمر الأول: القربة.

ومعنى القربة: أي: لتكون وسيلةً وواسطةً لنا عند الله ﷻ، نتوسط بها إلى الله، نطلب منها هي أن تقرِّبنا إلى الله.

والدليل على ذلك:

قال رحمه الله: «**فدليل القُربة: قوله تَعَالىٰ:** ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]».

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا﴾ هل قالوا: إلا لأنّها تخلق، إلا لأنّها ترزق، إلا لأنّها تحيي وتميت وتدبر الأمر؟ لا، إذن ما هو السبب؟ أجابوا قائلين: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ أي: من أجل أن تقربنا إلى الله تَعَالىٰ. فنحن أهل ذنوب وخطايا، وإسراف على أنفسنا، وهٰذه فاضلةٌ وكريمةٌ ولها منزلة عند الله ومكانة، فنحن نعبدها ونتوجه إليها من أجل أن تقربنا إلى الله ﷻ.

سمى الله ﷻ هٰذه الأمور التي يمارسها هٰؤلاء، ويقومون بها ـ وهي اتخاذ الأنداد والوسائط بينهم وبين الله ﷻ، من أجل أن تقربهم من الله ﷻ ـ كذبًا وكُفرًا بالله ﷻ.

الأمر الثاني: وهو الشفاعة:

الدليل على أنهم عبدوها لتكون لهم شافعةً عند الله ﷻ:

قال رحمه الله: «**ودليل الشفاعة: قوله تَعَالىٰ:** ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]»، أي: نحن عبدنا هٰذه الآلهة التي لا تضر ولا تنفع من أجل أن تكون شافعة لنا عند الله تبارك وتعالى.

إذن هٰذه قاعدةٌ مهمةٌ ينبغي أن يفهمها المسلم حتى لا يأتيه بعض المبطلين، ويلبسون عليه هٰذه الحقيقة، ويوقعونه في الشرك بالله من حيث أراد لنفسه الخير والهدى، ويقولون له: هٰذه الأصنام، وهٰذه المعبودات، وهٰذه القباب والأضرحة، إنما تُدعى ويُتوجه إليها من أجل أن تكون واسطةً بيننا وبين الله عز وجل، تقربنا إلى الله زلفى. هٰذا الأمر هو الذي لأجله عبد الكفارُ المشركون الأصنامَ، وتوجهوا إليها بالدعاء والرجاء، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

ثم انطلق المصنف من هٰذا الموضع ليُبيِّنَ رحمه الله أنَّ الشفاعة نوعان، حتى لا يلتبس باب الشفاعة وأمرها على المسلم.

قال رحمه الله: **«والشفاعة شفاعتان: شفاعةٌ منفيّةٌ، وشفاعةٌ مثبتةٌ».**

معنى شفاعة منفية: أي: نفاها الله في كتابه.

وشفاعة مثبتة: أي: أثبتها الله.

والمسلم عندما يقرأ القرآن الكريم يجد أنَّ القرآن الكريم فيه شفاعة منفية نفاها الله، وشفاعة مثبتة أثبتها الله. والواجب علينا أن ننفيَ ما نفاه الله، ونُثبتَ ما أثبته الله سبحانه وتعالى، أما ـ والعياذ بالله ـ أن يُثبتَ المرءُ من الشفاعة ما نفاه الله، هٰذا هو الباطل والضلال.

قال رحمه الله: **«فالشفاعة المنفيّة: ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلّا اللّه».**

واجبٌ على كلِّ مسلم أن يعرف الشفاعةَ التي نفاها الله في

القرآن، من أجل أن يحذرَها، وأن يجتنبها، وأن لا يقع فيها؛ لأن الله نفاها وأبطلها.

ما هي الشفاعة التي نفاها الله في القرآن؟ قال: «**ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلّا اللّه**».

لو قال قائلٌ لمخلوق ـ كائنًا من كان، مهما علت درجته، وبلغت منزلته ـ: أسألك أن تدخلني الجنة، أو أن تجيرني من النار، أو أن تثبتني على الإيمان، أو أن تعصمني من الخطأ، أو أن تهديني سواء السبيل، أو أن تجنبني مضلات الفتن، أو أن تصلح لي ذريتي، أو أن تمنَّ عليَّ بالزوجة الصالحة، أو تمنَّ عليَّ بالذرية الصالحة، أو أن تكتب لي رزقًا وملكًا.. إلخ، كل هذا من الشفاعة التي نفاها الله في القرآن.

ما الدليل على أن الله نفاها في القرآن؟

مضى المصنف على طريقته، يذكر الأمر بدليله:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والدليل: قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤]».

قال سبحانه: ﴿وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ وهذا نفيٌ للشفاعة.

والضابطُ في هذه الشفاعة التي نفاها الله في القرآن الكريم: أن يُطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فلو وقف رجلٌ أمام ضريح من الأضرحة، أو قُبَّة من القباب، وقال باكيًا راجيًا: يا فلان: أسألك أن تمُنَّ علي بالولد والذرية، أنا عقيم. ولو أن امرأة طافت بشجرة وهي تنادي الشجرة: يا فحل الفحول أريد ولدًا قبل الحول، يعني: قبل أن تتم السنة.

وكذا من نادى وليًا أو نبيًا أو ملكًا أو غيرَ ذلك يطلب منهم الذريَّةَ الصالحةَ، أو الزوجةَ، أو الهدايةَ، أو الصلاحَ، أو الثباتَ، أو الاستقامةَ، أو كشفَ الكربات وإزالةَ الهموم أو قضاءَ الدين، وقال: يا كاشف الغم، يا مجيب المكروب، يا مغيث الملهوف، يا جابر الكسير، أنا طريحٌ عند بابك، أنا لائذٌ بجنابك، إن لم تأخذ بيدي من يأخذ بيدي، ينادي بذلك المخلوقين، فهٰذه كلها شرك؛ لأنّها أمور لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، فلا يُلجأ فيها إلا إليه ﷻ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

مثلًا إذا كان الناس في الفُلك، وتلاطمت بهم الأمواج، وأدركهم الغرق، من الذي يسكن الرياح، ويهدئ الأمواج، ويُمسك السفينة؟ إنّه الله رب العالمين.

لكن ذكر الله ﷻ من حال أهل الشرك فقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، يعرفون وهم في تلاطم الأمواج، وفي الشدائد أن الذي يُنجي من الشدائد هو الله، وليست الأصنام؛ فلهذا كانوا يخلصون لله ﷻ في الشدة، ويشركون في الرخاء، مع أنَّ بعض المشركين في الأزمنة المتأخرة الذين تعلقوا بغير الله من الأنداد والأولياء والقباب، حتى في الشدائد وفي الكربات يفزعون إلى تلك المعبودات.

وقد قرأت في بعض الكتب: أن جماعةً كانوا في سفينة، وكان معهم رجلُ مسنٌّ على التوحيد والفطرة، فبدأت السفينةُ تتلاطم، وبدأ كلٌّ يهتف بمعبوده، يا سيدي فلان، يا مولاي فلان أدركني، يُناجون المخلوقين، فالتفت هـٰذا الرجل، فإذا كلُّ مَن في السفينة ليس فيهم

مَن يناجي الله، فمد يديه، وقال: يا رب أغرق أغرق، فما على السفينة من يعبدك، أي: كلهم يدعون غيرك.

أذكر الآن مثالًا، ننظر فيه: هل هو من الشفاعة المثبتة، أو المنفية: يأتي بعضُ الزوار إلى المدينة، ومعهم خطابات من بعض الناس من بلده موجهة إلى النبي ﷺ، اطلعتُ على شيء منها، وقرأتُ من كلام بعضهم، يقول: يا رسول الله، يا سيدي، يا مولاي، أنا عبدٌ كسيرٌ وفقيرٌ ذليلٌ، ومحتاجٌ، وأنا لائذٌ بك، وملتجئٌ إليك، فلا تردَّ طلبي، ولا تردَّ حاجتي، ثم ذكر حاجته: زوجةً صالحةً، وسكنًا واسعًا، ومالًا كثيرًا، وذكر أشياء؛ لكن أحفظ منها الزوجة والمسكن والمال، هٰذه كَتبها يطلبها من النبي ﷺ، وفي نهاية الخطاب كتب: وعنواني في المكان الفلاني.

أين هٰذا الكاتب لـهٰذه الورقة من قوله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]؟

في سورة البقرة، وسور أخرى: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ويتبع ذلك بقوله: ﴿قُلْ﴾ كذا؛ لأنه عليه الصلاة والسلام واسطةٌ في إبلاغ الدين: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، إلى غير ذلك من الآيات.

إلا أنّه في هٰذه الآية قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ لم يقل: (قل)؛ لأنّ التوجهَ إلى الله توجهٌ بلا واسطة، أينما تكون في الدنيا، وعرضتْ لك حاجة، لا تبحث عن وسطاء، بل مباشرةً اتجه إلى الله، ارفع يديك، سلِ الله بدون واسطة؛ فإنه رب العالمين يراك، ويطلع عليك، ويكشف كربتك ويزيل همَّك، ويرزقك من حيث لا تحتسب، الأمورُ بيده، والملكُ ملكه، والخلقُ خلقه تبارك وتعالى.

وما ذُكر في ذلك الخطاب كله يندرج تحت الشفاعة المنفية، فلا تخلط الأمور ويقال: دلت الأدلة على أنّه عليه الصلاة والسلام شفيعٌ للناس، فيقال: نعم، هو كذلك فيما أثبت الله له من الشفاعة، وأما المنفية فلا، أليس هو عليه الصلاة والسلام قال لفاطمة رضي الله عنها بنته: **«يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»**[1]، **وقال ذلك لعمه العباس، ولعمته صفية ولقرابته، خاطبهم بذلك صلوات الله وسلامه عليه.**

إذن هٰذه شفاعة نفاها الله تبارك وتعالى في القرآن، فيجب علينا أن نحذرَ من الوقوع فيها.

✍ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«والشفاعة المثبتة»**، أي: التي أثبتها الله في القرآن، **«هي: التي تُطلب من اللّه»**، انظر حسن البيان والنصيحة، قال: **«الشفاعة المثبتة: هي: التي تُطلب من الله، والشّافع: مُكْرَمٌ بالشفاعة. والمشفوع له: من رضيَ اللّهُ قولَه وعملَه بعد الإذن»**

✍ «الشفاعة المثبتة: هي: التي تُطلب من اللّه»، الشافع يطلبها من الله؛ لأنَّ الله قال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر: ٤٤]، فمن أراد أن يشفع لابد أن يأذن الله له، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، فإذن هي ملك لله، وبيده تبارك وتعالى، وأيُّ أحد كائنًا من كان يريد أن يشفع عند الله لابد أن يأذن له الله بالشفاعة.

ومن أراد أن يكون الأنبياءُ والملائكةُ شفعاء له عند الله، لا

---

(١) متفق عليه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري (٢٧٥٣) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦).

يطلبها منهم، بل يطلبها ممَن بيده الشفاعة ﷻ، وهي بيد الله ﷻ، فمن أراد أن يكون الأنبياء والملائكة شفعاء له عليه أن يقول في طلبه ودعائه: يا رب، يا الله ـ يسأل الله ـ شَفِّعْ فيَّ أنبياءَك، أو يقول: اللّهم اجعل نبيَّك محمدًا ﷺ شفيعًا لي يوم القيامة، أو اللّهم اجعلني ممن يَشفع لهم نبيُّك يوم القيامة، فنسأل الله ﷻ، ونطلب منه؛ لأنَّ الشفاعة ملكٌ لله ﷻ، وهي لا تكون إلا بإذنه للشافع، ورضاه ﷻ عن المشفوع له، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

ومن كان على الكفر والشرك بالله، ومات على ذلك، وشُفع له عند الله ﷻ لم تنفعه هذه الشفاعة، ولم تُنقذه من النار، قال تَعَالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

وفي صحيح البخاري قصةٌ عظيمةٌ تهز القلوبَ هزًّا، وهي قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع والده يوم القيامة، ذكرها نبينا عليه الصلاة والسلام قال: «**يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ**[1]، **فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ**[2] **مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ**»[3].

واقرأ في آخر سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) قترة وغبرة إنما تكون على وجه الكفّار. انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٤٩٩ ـ ٥٠٠).

(٢) الذيخ: ذكر الضباع. انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٥٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥٠).

ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ [التحريم: ١٠].

ونوح عليه السلام ـ وهو من أولي العزم من الرسل ـ لم يغنِ عن ابنه شيئًا؛ لأنّه كان كافرًا، ولم يغن عن زوجته شيئًا؛ لأنها كانت كافرة.

وإبراهيم عليه السلام لم يغن عن أبيه شيئًا؛ لأنه كان كافرًا. فالشفاعة لا تكون إلا بإذن الله للشافع، ورضا الله تبارك وتعالى عن المشفوع له.

قال ابن القيم رحمه الله: «فلا اتصال فوق اتصال البنوة والأبوة والزوجية، ولم يغن نوح عن ابنه، ولا إبراهيم عن أبيه، ولا نوح ولا لوط عنِ امرأتيهما من الله شيئا، قال الله تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الممتحنة: ٣] وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الانفطار: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة: ٤٨] وقال: ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ [لقمان: ٣٣] وهذا كله تكذيبٌ لأطماع المشركين الباطلة أن من تعلقوا به من دون الله من قرابة أو صهر أو نكاح أو صحبة ينفعهم يوم القيامة، أو يجيرهم من عذاب الله، أو هو يشفع لهم عند الله، وهذا أصل ضلال بني آدم وشركهم، وهو الشرك الذي لا يغفره الله، وهو الذي بعث الله جميع رسله وأنزل جميع كتبه بإبطاله، ومحاربة أهله ومعاداتهم»(١).

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سأل النبي عليه الصلاة والسلام سؤالًا عظيمًا وكبيرًا في هذا الباب قال: قلت: «يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟» فقال: «. . .**أَسْعَدُ النَّاسِ**

(١) إعلام الموقعين (١/١٤٤ - ١٤٥).

بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»(١)

وروى مسلم في صحيحه عن نبينا ﷺ أنّه قال: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا**»(٢).

ولهذا نتنبه هنا في موضوع الشفاعة لثلاثة أصول مهمة:

الأول: أنَّ الشفاعةَ لا تكون إلا بإذن الله.

الثاني: أنَّ الشفاعة لا تكون إلا عمن رَضي اللّهُ عنه، عن قوله وعمله.

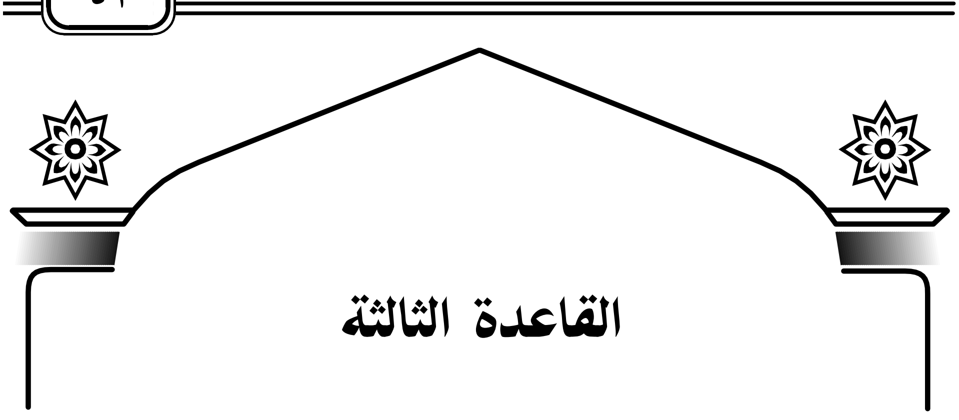
الثالث: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يرضى إلّا عن أهل التوحيد.

فالشفاعة بهٰذه الضوابط هي الشفاعة التي أثبتها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في القرآن.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والمشفوع له: من رضيَ اللّهُ قولَه وعملَه بعد الإذن**».

وقد جُمع بين هذين الشرطين: الرضا والإذن، في قوله تَعَالىٰ: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦]، وقوله سبحانه: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩]، الإذن للشافع والرضا عن المشفوع له، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يرضى إلا عن أهل التوحيد(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٠).
(٢) أخرجه مسلم (١٩٩).
(٣) انظر: تفسير السعدي (ص: ٨٢٠).



القاعدة الثالثة

المتن

القاعدة الثالثة: أنّ النبي ﷺ ظهر على أُناسٍ متفرّقين في عباداتهم، منهم مَن يَعبُد الملائكة، ومنهم من يَعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يَعبد الأحجارَ والأشجارَ، ومنهم مَن يَعبُد الشمسَ والقمرَ، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرِّق بينهم، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

ودليل الشمس والقمر؛ قوله تَعَالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

ودليل الملائكة؛ قوله تَعَالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

ودليل الأنبياء؛ قوله تَعَالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ [المائدة: ١١٦].

ودليل الصالحين؛ قوله تَعَالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ

رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾... ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧].

ودليل الأحجار والأشجار؛ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠].

وحديث أبي واقدٍ الليثي ﷺ قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ **إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، ويَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ... الحديث**[1].



الشَّرْح:

هذه القواعد الأربع ـ كما عرفنا ـ هي قواعدُ مهمةٌ للغاية، ويحتاج كلُّ مسلم إلى معرفتها؛ لأن معرفةَ هذه القواعد وضبطها يكون بإذن الله ﷻ ضمانَ أمانٍ للمسلم من الوقوع في شبكة الشرك، وحبائل أهله، ومصايد الشيطان، وقد جاء في التعوّذات المأثورة عن النبي ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ**»[2]، وفي رواية «**وَشَرَكِهِ**»، أي: حبائله وشباكه التي يضعها للناس، ليوقعهم في الشرك بالله ﷻ، والشركُ شبكةٌ، ومَن لم يكن في هٰذا الباب على أصول ثابتة وقواعد راسخة ربما زلت به القدم في أخطر وأعظم باب؛ ولهذا ينبغي على كل مسلم أن يكون على

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٩٠٠)، والترمذي (٢١٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٢٩١) واللفظ له، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٧٦).

(٢) أخرجه أحمد (٦٥٩٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٥٢) عن عبدالله بن عمرو ﷺ، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٤٤٣).

عنايةٍ تامةٍ، ورعاية قوية لـهٰذه القواعد الأربع العظيمة التي قررها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذكر دلائلها وشواهدها من كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

كذلك ينبغي أن نعلمَ أنَّ هٰذه القواعد الأربع يترتب بعضُها على بعض، وبفهمها مجموعةً تتحقق بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى السلامة والعافية.

وقد عرفنا من خلال **القاعدة الأولى** أنّ الكفار الذين بُعث فيهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كانوا يقرون بأن الخالق الرازق المنعم المتصرف المدبر للأمور هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وحده، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام؛ لأنهم لم يخلصوا العبادة لله.

ثم القاعدة الثانية أنّ المشركين الكفار عندما يُسألون: لماذا تعبدون هذه الأوثان، وأنتم تقرون أنّها لا تملك شيئًا، ولا تخلق ولا ترزق؟ يقولون: نحن نعبدها وندعوها ونتوجه إليها من أجل أن تقربنا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى زُلفى، ومن أجل أن تكون شفيعًا لنا عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ثم القاعدة الثالثة وهي تنبني على القاعدتين السابقتين، وتأتي جوابًا على تساؤل: هل الشرك الذي ذمَّه الله، وحذّر منه، وعاب أهله، وتوعّدهم وتهدّدهم، خاصٌّ بمن عبد صنمًا؟ أو توجه إلى حجر؟ أو أنه شامل لكل ما عُبد من دون الله، أيا كان ومهما كانت صفته؟

وهي قاعدة مهمة في هٰذا الباب؛ لأنَّ بعضَ من ابتلوا بالباطل والتوجه لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالدعاء والرجاء والطلب والسؤال وإنزال الحاجات والطلبات والرغبات، إذا تُليت عليه مثلُ هٰذه الآيات، لوعظِه وتنبيهِه وتذكيرِه وتحذيرِه مما هو عليه من ضلال وباطل، يقول: هٰذه الآيات التي تُتلى في القرآن تختص بمن توجه إلى حجرٍ وشجر، أما نحن لم نتوجه لا إلى حجر ولا إلى شجر مثل هٰؤلاء المشركين، نحن توجهنا إلى أولياء صالحين، أو إلى ملائكة مقربين،

فكيف تتلى هٰذه الآيات علينا، ونوعظ بها، وهي لا تتناول العمل الذي نقوم به؛ لأن الآيات تتعلق بمن عبد الأصنام: اللات والعزى ومناة وهبل.. إلى آخره.

وهٰذا زعمٌ فاسدٌ أردى بأصحابه إلى دركة الشرك، وهلكة الباطل، والعياذ بالله، فيدخلون في وحل الشرك، وشبكة الباطل من حيث يظنون أنهم لم يقعوا في هٰذه الهوة السحيقة ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

✍ يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (القاعدة الثالثة أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر).

معنى **«متفرّقين في عباداتهم»**؟ أي: لم تكن عباداتهم مختصة بمعبودات معينة، مثل الأحجار أو الأصنام؛ بل كانوا متفرقين في عباداتهم يعبدون أشياء كثيرة، ما هي هٰذه الأشياء؟

فصّل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر هذه الأشياء، وذكر الدليل عليها من القرآن، قال: **«منهم مَن يَعبُد الملائكة، ومنهم من يَعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يَعبد الأحجارَ والأشجارَ، ومنهم مَن يَعبُد الشمسَ والقمرَ»**.

تقرير القاعدة: أنّ من بُعث فيهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وظهر عليهم معلنًا دعوة التوحيد، والإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ونبذِ الشرك، كانوا مشركين، وشركُهم ليس منحصرًا في نوعٍ معينٍ من الشرك كعبادة الأصنام؛ بل إنَّ شركَ من بُعث فيهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شركٌ متنوعٌ، والأبوابُ التي سلكها هٰؤلاء المشركون أبوابٌ متفرقةٌ: منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد

الأنبياء، ومنهم من يعبد الأولياء الصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار والأضرحة، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ونحو ذلك، وبهذا تبطل دعوى من حصر الشرك في عبادة الأحجار والأشجار فقط، وأخرجه من عبادة الأنبياء والصالحين.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرِّق بينهم، والدليل؛ قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾** [الأنفال: ٣٩]».

أي: قاتلهم أجمعين، على أنواع الشرك المختلفة التي كانوا عليها، فلم يُفرِّق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بين من عبد حجرًا، أو عبد نبيًا كعيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو عبد ملكًا من الملائكة كجبريل، أو غيرهم من الملائكة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، بل كلهم يشملهم قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾** وقاتلهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أجمعين، ودعا هٰؤلاء الذين يعبدون الملائكة، والنجوم، والأنبياء، والأصنام، إلى نبذ هٰذا الشرك وإلى إخلاص العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ساق رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلة على تنوع شرك المشركين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ودليل الشمس والقمر؛ قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾** [فصلت: ٣٧]».

قوله: «**ودليل الشمس والقمر**» أي: والدليل على أنَّ مِن الناس مَن كان يعبد الشمس والقمر، ممن بعث فيهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾.

بل إنَّ من رعاية نبيِّنا ﷺ للتوحيد، وحفاظه لجنابه، وسدِّه صلوات الله وسلامه عليه لذرائع الشرك أنه نهى أمَّةَ الإسلام أن يصلوا لله ﷻ مخلصين عند وقت طلوع الشمس ووقت غروبها؛ لأنَّ عُبّادَ الشمس كانوا يتحرون عبادتَها عند أوّل طلوعها، وعند غروبها؛ ولهذا جاء النهي الغليظ والمؤكد عن الصلاة في هذين الوقتين، قال ﷺ: «**لَا تُصَلُّوا حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ، وَلَا حِينَ تَسْقُطُ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، وَتَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ**»[(١)]، **وهٰذا فيه أنَّ الشيطان له فتنةٌ في هٰذا الوقت لصرف القلوب عن التوحيد إلى الشركِ، والتعلقِ بهٰذه المخلوقات الكبيرة البديعة العجيبة العظيمة.**

فعندما يضعف التوحيد قد تتعلق القلوب بمثل هٰذه المخلوقات الكبار، وتلجأ إليها، فتدهشها الشمسُ بغروبها وطلوعها، فتتوجه إليها بحاجاتها ورغباتها، فقطع النبي ﷺ الطريقَ، وسدَّ ذريعةَ الشرك، ونهى أن تُتحرى العبادةُ في هذين الوقتين، ولو كان الإنسانُ لا يقصد بعبادته إلّا وجه الله مخلصًا له؛ لأنَّ فيه شيئًا من المشابهة ولو في الصورة الظاهرة لعبدة الشمس والقمر.

وجاء عنه ﷺ في ذلك أحاديثُ كثيرةٌ، كلُّ ذلك محافظةً على التوحيد، وصيانة لجنابه، وسدًّا للذرائع التي تفضي إلى الشرك بالله ﷻ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ودليل الملائكة؛ قوله تَعالىٰ:** ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ﴾ [آل عمران: ٨٠]» أي: من دون الله ﷻ.

فهٰذا دليل على أن من الناس من اتخذ الملائكة أربابًا، وعبدوهم مع الله ﷻ، ودعوهم، وسألوهم حاجاتهم وطلباتهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠١٦٩) واللفظ له، والطبراني في المعجم الكبير (٦٩٧٣) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٠٤١).

والملائكةُ جندٌ مكرمون، وعباد مسخرون، لا يستحقون من العبادة ولا مقدارَ ذرة؛ ولهذا في سياق إبطال الشرك في القرآن الكريم في سورة سبأ ذكر الله ﷻ ضعفَ الملائكة، مبيِّنًا جل جلاله أنَّ الملائكة مع ضخامة أجسامها، وقوتها، وعِظم قدرتها التي منحها الله تبارك وتعالى إياها هي مفتقرة إلى الله سبحانه مخلوقةٌ مربوبةٌ، لا تستحق من العبادة شيئًا قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

يُفسِّر هٰذه الآية قولُ نبينا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ**»[1]، فهٰذه الملائكة كبيرة الأجسام عظيمة القوة والقدرة، إذا تكلم الله بالوحي ضربت بأجنحتها، خضعانًا لقوله تبارك وتعالى، وغشي عليها، فهي مخلوقةٌ فقيرةٌ مفتقرةٌ مربوبةٌ لله، لا تستحق من العبادة أيَّ شيء؛ ولهذا قال الله ﷻ في شأن الملائكة: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، فهم لا يقولون ذلك، بل هم عبادٌ مكرمون، يعبدون الله ﷻ الليلَ والنهارَ لا يفترون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وقد وُجد في الناس من عبدهم، وتوجه إليهم في طلباته ورغباته، وجعلهم واسطةً بينه وبين الله تبارك وتعالى في عرض حاجاته، فبُعث النبي عليه الصلاة والسلام لإبطال هٰذا الشرك، أي: اتخاذ الملائكة أربابًا وأندادًا وشركاء لله تبارك وتعالى في العبادة.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

✍ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودليل الأنبياء؛ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦]».

وهذا شاهد على أن من المشركين الذين بُعث فيهم عليه الصلاة والسلام مَن كان يَعبد الأنبياء من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، مثل من كانوا يعبدون عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويعتقدون ألوهيته وربوبيته، ويتوجهون إليه بالدعاء والطلب والرغبات، ويعبدون أمَّه، وهي ليست نبيةً، وإنّما هي صالحةٌ من الصالحات، ومن خيار نساء العالمين؛ فكانوا يعبدونهما من دون الله، وجعلوهما شركاء لله، وقالوا: إنَّ الله ثالثُ ثلاثة. وجعلوا الثلاثة مستحقين للعبادة: الله ومريم وعيسى، وعبدوهم كلَّهم.

✍ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودليل الصالحين؛ قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ...﴾ **الآية** [الإسراء: ٥٧]».

وهٰذه الآية دليلٌ واضحٌ على أنَّ من بُعث فيهم عليه الصلاة والسلام منهم من كان يعبد الصالحين من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، وذلك أنَّ قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ يتعلق ببيان حال طائفة من المشركين كانوا يعبدون بعض الصالحين من عباد الله، فنهاهم الله عن هٰذا الشرك ببيان أنَّ هؤلاء الذين تدعونهم وتعبدونهم، هم أنفسهم عباد لله، خاضعون لله، متذلِّلون بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤] موحدون له في ألوهيته، مطيعين له، قائمين بعبادته، يرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيف تتوجهون إليهم؟

فيقال لمن عبد وليًا وصالحًا: إنّ هـٰذا الذي تَعبده وتلجأ إليه هو نفسه يعبد الله، يرجو الله، ويطمع في مغفرة الله ورحمته، وإن

كان مات فإنَّ هٰذه الأمور: رجاء الرحمة، والعبادة، وابتغاء الوسيلة انقطعت بموته؛ «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ**»(١) لا يستطيع أن يقوم بعبادة، أو بدعاء، أو برجاء، أو بخوف، أو بأي أمر من الأمور التي للعبد مجال للقيام بها في حياته الدنيا؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ، فَأَسْتَغْفِرُ لَكِ وَأَدْعُو لَكِ**»(٢)، أي: وأنا على قيد الحياة استغفرت لك، أما بعد الموت فلا يستغفر هو عليه الصلاة والسلام لأحد، ولا أيضًا غيرُه من الذين توفاهم الله عز وجل يستغفرون لأحد.

أما ما يستدل به بعض الناس من أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُون وَيُحْدَث لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُم**»(٣) فهٰذا حديث ضعيف، يستدلون به ويتركون الحديث الذي في صحيح البخاري الدال على انقطاع ذلك بالموت.

ولهذا الصحابة رضي الله عنهم بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: ـ كما جاء عن عمر رضي الله عنه ـ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»(٤)، والمراد الدعاء. في زمن النبي عليه الصلاة والسلام ما كانوا يتوسلون بالعباس أو بغيره، بل كانوا يتوسلون بدعاء النبي عليه الصلاة والسلام، يدعو لهم هو صلوات الله وسلامه عليه ويؤمّنون على دعائه، أمّا بعد موته فقد انقطع هٰذا الأمر لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ**» فتوسلوا بدعاء غيره من الأحياء.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦٦) عن عائشة رضي الله عنها.
(٣) أخرجه البزار في مسنده (١٩٢٥)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٩٧٥).
(٤) أخرجه البخاري (١٠١٠) عن أنس رضي الله عنه.

✍ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ودليل الأحجار والأشجار؛ قوله تعالىٰ:** ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]».

هٰذه معبودات كان يعبدها المشركون ويتوجهون إليها:

أما اللات: فهٰذه صخرةٌ(١)، وقيل قبرٌ ـ جاء هٰذا المعنى عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا(٢) وغيره ـ لرجل كان يلتُّ السويق، يعني: يَعجنه ويُهيئه ويخبزه ويجهزه ضيافةً وقِرى للحجاج، وكان معروفًا بذلك، لما مات بنوا على قبره، وعبدوه، وجعلوه واسطةً، وقالوا: هٰذا رجلٌ معروفٌ بالكرم، والضيافة، فعبدوا قبره، وجعلوه واسطة بينهم وبين الله عَزَّ وَجَلَّ، يأتون عنده، ويعرضون الحاجات والرغبات، ويتحرّون الدعاء.

وقيل: عبدوا الصخرة التي كان يعجن عليها السويق، وقالوا: هٰذه الصخرة فاضلةٌ، سنوات طويلة يعجن عليها السويق ويقدم للحجاج ضيافةً لهم فجعلوها واسطة بينهم وبين الله.

والعزى: شجرةٌ كان يقصدها المشركون، وكان يزيد من تعلقهم بهـٰذه الشجرة أنَّ جِنّيةً كانت مختفية فيها، وإذا جاؤوا عند هٰذه الشجرة خاطبتهم، فيُخدعون بذلك؛ لأنَّ الشجر لا يُعرف أنّه يخاطب الناس، فتخاطبهم الجنيةُ وتذكر لهم أمورًا، وربما سألوها عن مفقود أو ضائع فدلّتْهم على موضعه ففتنوا بها، وصاروا يتوافدون عليها، ويعبدونها حتى بعث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إليها خالدَ بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقطع الشجرة وقتل الجنية، كما جاء في كتب السير والأخبار(٣).

ولا يزال مثل هٰذا الشرك موجودًا في الناس، فمنهم من يتعلق

---

(١) انظر: كتاب الأصنام لمحمد بن السائب الكلبي (ص: ١٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٤٨٥٩) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ»، وفتح الباري لابن حجر (٦١٢/٨).

(٣) انظر: كتاب الأصنام لمحمد بن السائب الكلبي (ص: ١٧ ـ ٢٦).

بأشجار يعتقدون أنّها مباركةٌ؛ فيذهبون إليها ويُعلِّقون عليها الخيوطَ، ويتمسحون بها، ويطلبون منها البركة، ويطوفون بها، وقد شاهد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيئًا من ذلك: فكانت المرأةُ التي لا تلد يقول لها النساء: هناك شجرة مباركة في المكان الفلاني، اذهبي وطوفي بها أشواطًا، واطلبي منها، فتذهب وتطوف بها، تناديها وتقول: يا فحلَ الفحول، أريد ولدًا قبل الحول. وربما قالوا لها: فلانةٌ جربت وفلانة فعلت.. وهكذا يُستدرج الناس إلى الشرك والباطل والعياذ بالله.

وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث الصحيح: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْس عَلى ذِي الخَلَصَةِ**»[(١)].

و«ذو الخلصة» صنمٌ ووثنٌ من الأوثان.

«**تَضْطَرِب أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْس**» يعني: تضرب أَلَيات بعضهنَّ ببعض من شدة تزاحمهنَّ على الطواف على ذي الخلصة، وهٰذا فيه إشارةٌ إلى كثرة النساء الطائفات على هذا الوثن.

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ**»[(٢)]، والأحاديث في هٰذا الباب كثيرةٌ وثابتةٌ عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...**»[(٣)]، ومَن كان قبلنا فيهم مَن عبد الملائكة، وفيهم مَن عبد الأنبياء، وفيهم مَن عبد

---

(١) متفق عليه من رواية أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، البخاري (٧١١٦) واللفظ له، ومسلم (٢٩٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢) واللفظ له، وابن ماجه (٣٩٥٢) عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٨٣).

(٣) متفق عليه من رواية أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، البخاري (٧٣٢٠) واللفظ له، ومسلم (٢٦٦٩).

الأولياء، وفيهم مَن عبد الأشجار، وفيهم مَن عبد الصالحين، ولم يقل ذلك مجرد معلومة نسمعها ونعرفها بل مِن أجل أن نحذَرَ ونحتاطَ لأنفسنا، ونخاف من هٰذا الباطل الذي كان عليه من قبلنا.

ومناة: هٰذا أيضًا حجرٌ وصنمٌ من الأصنام كان يعبده أهل الجاهلية، وكان بين مكة والمدينة[1].

ثم ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحديث أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهٰذا الحديث عظيمٌ في هٰذا الباب، يُبيِّن لنا خطورةَ حال الناس عندما يكونون حديثي عهدٍ بإسلام، أو تكون معلوماتُهم الإسلاميةُ ضعيفةً، أو يكونون نشأوا في مجتمعٍ تكثر فيه الجاهليةُ، ويكثر فيها دعاةُ الضلال وأئمةُ الباطل.

قال أبو واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**خَرَجْنَا مَعْ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ**» هٰذا اعتذارٌ قدّمه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن المقالة التي قالوها أي: عهدُنا بالكفر كان قريبًا، والذي على كفرٍ من وقتٍ قريبٍ تكون معلوماتُه الشرعيةُ عن الإسلام والتوحيد، وعن تفاصيل الشرع ضعيفةً، ورُبما يكون في الوقت نفسه على بعض الأمور التي كان عليها في الجاهلية، لم يتبين ولم يظهر له أنّها مصادمةٌ للإسلام الذي اعتنقه ودخل فيه.

وقوله: «**خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ**» فيه أنَّ هؤلاء الرجال خرجوا مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بائعين أنفسَهم في سبيل الله، معهم السيوفُ يقاتلون، مِنهم مَن سيُقتل ويموت في قتال الكفار، ثم يقولون هٰذه المقالة.

قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ**»، جاء في بعض الروايات «فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ»[2]، وهم في الطريق مروا بسدرة أي: بشجرة.

---

(١) انظر: كتاب الأصنام لمحمد بن السائب الكلبي (ص: ١٣).
(٢) أخرجه أحمد (٢١٩٠٠).

لمن هٰذه الشجرة؟ الجواب: قال: «**لِلْمُشْرِكِينَ**».

ماذا يفعلون عندها؟ قال: «**يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ**».

والعكوف عبادةٌ لله تبارك وتعالى، ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، يَعكفون عندها، أي: يمكثون طويلًا عندها خاضعين متذلّلين راهبين راغبين خاشعين، ويعتقدون في قرارةِ نفوسِهم أنَّ عكوفَهم هذا يجلبُ لهم بركةً؛ لأنّ هٰذه الشجرةَ مباركةٌ بزعمهم، فبركتها تنعكس عليهم وتنجذب إليهم، ويعود إليهم نصيبٌ منها.

«**وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ**» أي: يعلقون بها أسلحتهم؛ لأنّهم يعتقدون أنّ السلاح إذا عُلِّق على هٰذه الشجرة المباركة ـ بزعمهم ـ يبارك فيه، ويُصبح قويًا في القتال.

«**يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ**» سموها بهٰذا الاسم لكثرة ما يعلقون عليها من أسلحتهم رجاء البركة وطلبها.

قال: «**فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ**» أي: مرّوا بسدرة أخرى غير تلك، «**فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّٰهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ**» يعني: خصِّصْ لنا شجرةً معينةً نمارس عندها مثل تلك الممارسات؛ نَعكف عندها ونُعلِّق السلاح بها.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**اللّٰهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، **لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[1] ـ وفي رواية قال: «**سُبْحَانَ اللّٰهِ**»[2] ـ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٩٠٠)، والترمذي (٢١٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٢٩١) واللفظ له، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٨٠).

انظر إلى هٰذا النصح العظيم، والتحذيرِ البالغ من نبينا ﷺ، وخذ الأمر مأخذ الحزم والحيطة والحذر خاصةً في زمانا هذا، الذي انفتح فيه على النّاس انفتاحًا عجيبًا حال المجتمعات والأمم الكافرة، وأصبح المرء من خلال القنوات الفضائية، وشبكة العنكبوت (الانترنت) وهو جالس في بيته، منفتحًا عليه العالمُ كلُّه، فيرى وثنية الوثنيين وشرك المشركين وضلال المضلين، وشبه المبطلين، ويكون هٰذا المسكين الذي ينظر إلى هـٰذا كلِّه بضاعته الشرعية وعلمه بالتوحيد علمٌ ضعيفٌ محدودٌ فالأمر خطيرٌ.

والحاصل أنّه عندما يقرأ بعضُ الناس الآيات التي فيها التحذير من الشرك قد يقول: هذه في اللات والعزى ومناة، وقد حُطمت في زمن النبي ﷺ، فلا يوجد شرك.

بل وُجد في بعض أئمة الضلال من قال: لن يوجد شركٌ في أمة محمد إلى قيام الساعة. ولُبِّس بذلك على بعض الجهال، فأصبحوا يمارسون الشرك بحجة أنَّ أمة محمد معصومة من الشرك، وربما استدلوا ببعض الأحاديث ووضعوها في غير بابها، مثل حديث: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»[١] يستدلون به، ويتركون أحاديثَ محكمة صريحة في أنَّ العبادة ستوجد، مثل: «**وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ**»[٢]، وقوله ﷺ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢) عن جابر رضي الله عنه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.

و«الجمع بين حديث «**إنَّ الشيطانَ يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب**»(١) وبين حصول الشرك أن يقال:

أ ـ أنَّ يأس الشيطان غير معصوم، فقد ييأس من الشيء ويقع ويحصل، وقد يرجو الشيء ولا يقع.

ب ـ بأنه يأس من إطباق أهل الأرض على الشرك فهذا لا يقع فإنه لا تزال طائفة على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله تعالى.

ج ـ أنه أراد بذلك الصحابة؛ لأن في الرواية (أن يعبده المصلون) و(ال) هنا للعهد أي: الصحابة، فقد يأس من رجوع الصحابة للشرك والكفر.

وكل الأجوبة الثلاثة صحيحة»(٢).

فيا أيها المسلم الموفق، إذا علمت هٰذا العلم، وفهمت هـٰذا الفهم، اتق الله ﷻ، واحفظ توحيدَك، وصُن إيمانَك، وأبعد نفسَك عن الشرك، واسأل الله ﷻ أن يُثبتَك على التوحيد، وأن يعيذَك من الشرك، وأن يحييك مسلمًا، وأن يتوفاك مؤمنًا، فإنه ﷻ وحدَه وليُّ التوفيق والسداد.



(١) سبق تخريجه.

(٢) التعلقات البازية على كتاب التوحيد (ص: ٣٧ - ٣٨).

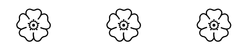
القاعدة الرابعة

المتن

✍ القاعدة الرابعة: أنَّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين، لأنَّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم دائمٌ في الرخاء والشدّة.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

تمت وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.



الشرح:

ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هٰذه **القواعد الأربع** بهٰذه القاعدةِ العظيمةِ.

✍ قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أنَّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين**»، لماذا؟

✍ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لأنَّ الأوّلين يُشركون في الرخاء**» أي: وقتَ

الصحة والعافية والأمن والراحة والطمأنينة ونحو ذلك، **«يُشركون»** أي: يعبدون مع الله ﷻ الأحجارَ والأشجارَ والملائكة. . . إلى آخره.

✍ «ويُخلصون في الشدّة» أي: وقت الشدة، عندما تشتد الأمور، وتعظم الكربات لا يعبدون شيئًا من تلك المعبودات؛ بل يتوجهون إلى الله ﷻ وحدَه مخلصين له الدين.

ما الدليل على ذلك؟

✍ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والدليل قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]» هٰذه حال المشركين الأُوَل، إذا ركبوا في الفلك، وأتت الرياح العاتيةُ، وتلاطمت الأمواجُ، وأدركهم الغرقُ، وعظم الخطبُ، أخلصوا الدين لله، يا رب يا رب، إخلاصًا تامًّا في التوجه والسؤال والطلب، لا يناجون اللات، ولا هبل، ولا غيرها مما كانوا يدعونها في حال الرخاء، فالوسائطُ كلُّها تسقط وتذهب، ولا يتعلقون بشيء منها.

والدليل واضحٌ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟﴾، أي: المشركون ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ يعني: إذا نجوا من الغرق ووصلوا إلى البرّ رجعوا إلى الشرك، وبدأوا يناجون اللات والعزى.. إلى آخره.

فيقال للمشرك: إن كنت تؤمن أنّه لا ينجيك في البحر إلا الله، فكذلك لا ينجيك في البر إلا الله؛ لأن الله قادرٌ عليك في البر وفي البحر، فما تُغني عنك هـٰذه الأصنام من الله شيئًا سواء كنت في البر أو البحر، قال الله ﷻ: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ

مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٦ ـ ٦٧]، فقوله: ﴿ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ أي: ذهب كل من تعلقون به وتدعونه وترجونه ﴿إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ إلا الله.

ففي البحر يذهب عن قلوبهم وعقولهم كل من يدعونه من دون الله، فلا يدعون إلا الله تبارك وتعالى وحده مخلصين له الدين، ثم إذا تحققت النجاة أعرضوا ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ فيقال لهم حيث وطئتْ أقدامُهم البرَّ، وأحسوا بالسلامة ورجعوا إلى الشرك: هل عندما رجعتم إلى الشرك بعد ذلك، هل أمنتم أن يخسف الله بكم جانبَ البر؟ ﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ﴾ [الإسراء: ٦٧ ـ ٦٨]، وأمر آخر ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبًا﴾ [الإسراء: ٦٨] أي: وأنتم في البر، هل تأمنون السلامة من هاتين الحالتين:

الأولى: أن يخسف الله بكم جانب البر، فتنخسف الأرض التي تحتكم، وتسقطون في هوة من الأرض لا يعلم مداها إلا الله، وتنطبق عليكم الأرض ولا يُرى لكم أثرٌ، والله قادرٌ على كل شيء، وقد أخبر أنّه عاقب مَن عاقب بشيء من ذلك، ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

والثانية: أن يُرسل عليكم حاصبًا، أي: يبعث الله عز وجل ريحًا شديدةً قويةً تحمل الحصباءَ فيهلككم بها وأنتم في البر، ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبًا﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وأمر ثالث: ﴿أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ أي: في البحر ﴿فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ﴾ [الإسراء: ٦٩].

إذن من تخلصون له في الشدة، وتشركون معه في الرخاء، حقه الواجب عليكم أن تكونوا مخلصين له في الرخاء والشدة؛ لأنّكم لستم

في أَمَنَةٍ من عقوبتِه ونقمتِه لا في البر ولا في البحر.

وقد كان سببُ دخول عكرمة بن أبي جهل في الإسلام، والتحاقِه بالنبي ﷺ انتباهه لهذا المعنى ـ كما ورد في خبر إسلامه ـ: «أما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصفٌ، فقال أهل السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإنّ إلهكم لا يغني عنكم شيئًا هاهنا. فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاصُ ما ينجي في البر غيرُه، اللّهم إنّ لك عليَّ عهدًا إنْ أنت عافيتني ممّا أنا فيه، أنْ آتي محمدًا حتى أضع يدي في يده، فلأجدنَّه عفوًا كريمًا. فجاء فأسلم»[1]، فكان في ذلك عظةٌ له وعبرةٌ، وكان سببًا لدخوله في الإسلام.

✍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«ومشركو زماننا شركهم دائمٌ في الرخاء والشدّة»**.

ومعنى: يشركون في الشدة، أي: أنَّ حالَهم عندما يركبون في الفلك، ويعاينون شدة الغرق، ومقاربة الموت يفزعون إلى المعبودات التي تعلقت قلوبُهم بها، ففي مثل هٰذه الحال تراهم يقولون: مدد يا فلان، أدركنا يا فلان، إن لم تنقذنا من هـٰذا الغرق من الذي ينقذنا، يخاطبون أمواتًا ومقبورين، أنا عائذٌ بك، أنا متجهٌ إليك، أنا في جنابك، أنا أنا.. إلى آخره. وهٰذا قدر من الشرك ما كان يفعله المشركون الأُوَل في حال الشدة، بل كانوا يخلصون.

وقد يتساءل المرء: لماذا هٰؤلاء يشركون في الرّخاء وفي الشدة، ما السبب؟

فأقول: إنَّ من وراء ذلك أئمةَ الضلال، وشيوخَ الباطل، غرسوا في نفوس هؤلاء التعلقَ بهم باسم كرامات الأولياء، ومكانة الصالحين.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٥/٥٩ - ٦٠).

فيقولون للجهال: إنّ من كرامات الولي أنّه ينقذ السفنَ في البحر من الغرق إذا نودي باسمه. وقد ذكروا في ذلك قصصًا ملفقة، وحكايات مزورة، غروا بها الجهال، وخدعوا بها العوام.

والعوام عندما يسمعون مثل هٰذه القصص قد يصدقونها، وترسخ في قلوبهم، فإذا ركبوا في الفلك يغلظ شركهم على شرك المشركين الأُول، فتجدهم إلى أن يغرق الواحد منهم وتفارق روحه جسده، وهو ينادي شيخه، ويهتف باسمه، ويظن أنّ شيخه سيدركه وينجيه، ويموت مشركًا، والعياذ بالله، نسأل الله العافية والسلامة.

فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ شركَ المشركين أغلظُ من شرك أولئك من جهة أنَّ أولئك كانوا يشركون في الرخاء ولا يشركون في الشدة، وأنَّ هٰؤلاء يشركون في الرخاء، وفي الشدة شركًا أغلظ من شرك المشركين الأوائل.

ثم إنَّ هٰذه المسائل، والرد على الشبه التي يطرحها أهلُ الشرك والباطل قد توسع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كشفها في كتابه: «كشف الشبهات»، وهو كتابٌ لا يستغني عنه طالب العلم، وقد ذكر فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ هٰذه القواعد مفصلةً تفصيلًا أوسع من هنا، وذكر أيضًا أصولًا عظيمة، وتقعيدات وتأصيلات نافعة يُحتاج إليها في كشف شبهات أهل الشرك الباطل.

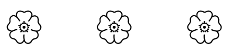
فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجزي هـٰذا الإمام خيرَ الجزاء على هـٰذا النصح العظيم، والبيان المُوَفّق والإيضاح للتوحيد، والتحذير من الشرك فقد كان شغله الشاغل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حياته، فنفع الله عَزَّ وَجَلَّ بدعوته نفعًا عظيمًا، ولا يزال الناس مع مر الأيام يستفيدون من هٰذه الدعوة، ومن هٰذا النصح، فأفاد من ذلك خلق لا يحصيهم إلا الله.

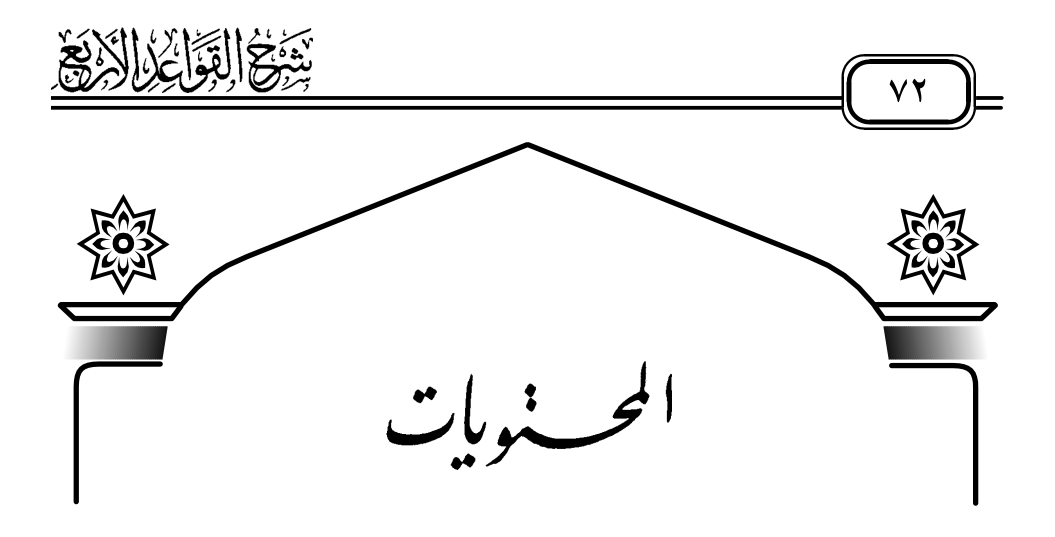
✍ وختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرسالة بقوله: **«تمت وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم»**.

وفي بعض المجتمعات من يصدون الناس عن دعوته، ويزعمون أنّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يصلي على النبي ﷺ. ألا ساء ما يأفكون.

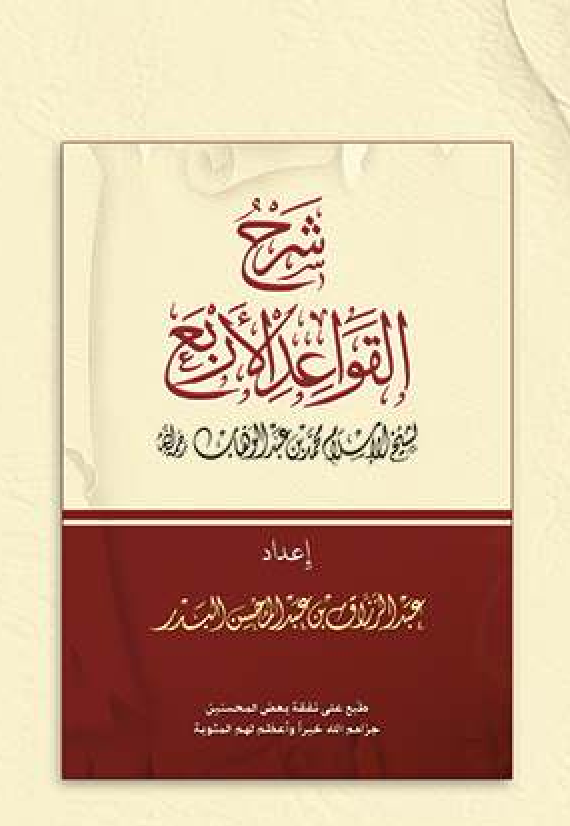
اللّهم اجز شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب خيرًا على ما قدّم، وارفع درجاته في عليين، واجمعنا به وبالصالحين من عبادك في جنات النعيم، واهدنا صراطك المستقيم، وأصلح لنا جميعًا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياةَ زيادةً لنا في كل خير، والموتَ راحةً لنا من كل شر، واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات إنك أنت الغفور الرحيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المحتويات


شرح
القواعد الأربع
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
طبع على نفقة بعض المحسنين
جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة